المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثالث عشر بعد المائة

١ نوفمبر سنة ١٩٤٨ م — ٢٩ ذو الحجة سنة ١٣٦٧ هـ

الروحانية وتطورها

عند البدائيين وفي العصر القديم

— ١ —

منذ عصور موغلة في القدم ، اعتقد الانسان أن الشخص الحي يختلف عن الجثة الميتة في أن جسمه حال الحياة ، يحوي جوهراً مخالفاً للبدن يُوجِّه أغراضه وحركاته ، ويتحكم في نماته وتجدده ، وإليه يرجع السبب فيما يعتلج في الانسان الحي من إحساس وفكر وشعور . ذلك بأن الاعتقاد في مثل هذا المبدأ الروحاني ، أو النفس ، قد طبق بأدهاق كل السلالات البشرية العائشة على ظهر الكرة الأرضية ، بالغة ما بلغت من انحطاط الثقافة أو ضعف القوى العاقلة . ولقد نجد ما نستدل به على وجود هذا المعتقد حتى في أقدم ما خلّف الانسان من الآثار .

واعتقد أهل الثقافة والعلم من الأمم ذوات الحضارات العالية أن النفس جوهر غير مادّي أو هي مبدأ فاعل يلابس الجسم . غير أن الفرق بين الأشياء المادية وغير المادية ، لم يستقرّ إلا بعد عصور متطاولة من البحث والدرس ، وبعد التقدم في درجات من التفكير صقلت التصوُّر الإنساني في حقيقة النفس . أما المعتقد الذي ساد بين الجماعات ذوات الثقافة الدنيا ، فمداره أن كل إنسان لا يتكرَّر في ذلك الجسم المرئي الذي يتنفس بين عشيرته فقط ، بل إن فيه مع الجسم نسخة أخرى منه ، مثلّثة الصورة ، مخاوِفة الذراع . هذا الشبح البخاري ، الذي هو المبدأ الروحي الحالّ في الكائن العضوي الحي ، فيه القدرة على مفارقة البدن ، وعلى التنقل بسرعة من مكان الى مكان ، وعلى استخدام كل القوى التي

يملكها حال ملابسته الجسم ، أو مشابهًا على الأرض أيهما كان وجهٌ حقّ . وما اللزوم عندهم إلا اتصال هذا الجوهر بجسم الفقيد بوقوعًا . كما أنهم كانوا يعتقدون أن العبورة والإغماء وغيرهما من الأمراض العصبية ، إنما ترجع إلى انفصال كذا أو بطول أمده . أما المرض فهو انفصال تام عند فقدان ذلك الجوهر أو قسم منه جسيم بعيد .

أما كون هذا المعتقد من الأشياء الراسخة عند كثير من الشعوب ، فدليل عليه عنايتهم التامة بمراعاة عادات تقتضيها ، تعتبر من وجهة نظرهم أقسامهم وما يرافقها من تعبير . من تلك العادات أن لا يربط الناعم لئلا يعوق انسلاخ روحه عنه . فإذا كان من المعروف بإيقافه ، فينبغي أن يكون ذلك بتلطف وتؤدة ، حتى يكون نفسه من الوقت متسع لأن يخرج في الجسم مرة أخرى . ومن ذلك أيضًا أن أصدقاء المريض قد يستدعون رجلاً متقدمًا ، فيحاول هذا أن يضع في فيه بربة ، حتى تمكن نفسه من تعقب أثر المريض الذي تقول معتقدة في الرجس نحو طريقها الثاني ، فتقبض عليها إن أمكن قبل أن تكون جرلتها في الاتجاه نحو وادي المرتى ، لتشكل منها ثانية في بدن المريض . هذا وقع الموت ، فإن أصدقاء الميت وأهله إلى اتخاذ كل الوسائل الممكنة التي تساعد النفس المفارقة في جولتها ، وتحقق سعادتها في أرض الظلال ، حيث يعتقد أنها سوف تحيا حياة تشبه أقرب الشبه حياتها البدنية في هذه الدنيا .

من عادات قبيلة الكاليس ... في برنيو مثلاً ، أن يجلس شخص مسن له مرتبة خاصة بجوار الجثة ، حيث يظن أن الروح تظل جاثمة بضعة أيام بعد الموت ليزودها بتفاصيل دقيقة توجهها في رحلتها إلى عالم الموتى

إن عادات الدفن عند كثير من الشعوب تؤيد بشواهد جلية ظهورها على الاعتقاد بأن الروح المتجردة من البدن تبقى زمنًا في الدار الأساسية للشخص الحي حال قيامه في الحياة وروحًا رديئًا ، والعادة الدالة على ذلك تقتضي بعض القبيلة أو الروحانيين عند موت رجل ذائع ، إما فيه لتبرير الاعتقاد بأن روحه عند انصرافها تراقب روح الميت حيث تذهب . وأما لتعلم على شيء ما كان يخفيه قبل الموت . كما أن هناك عادة أوسع من هذه انتشارًا وذيوعًا ، ... تحرق مع جثة الميت أثمن أمتعته ، وخاصة أسلحته وأدوات زينته ، وذلك ترجع إلى الاعتقاد بأن هذه الأشياء تصبح طيفية أو أرواحًا شبحية ، يمكن أن تحملها الروح الذاهبة معها ، لتستخدمها في العالم الآخر ، كما كان يستخدمها الإنسان الحي في هذه الدنيا .

أظهر الأستاذ إدوارد ب تيلور ... في الفصول التي عقدها عن الفكرة الروحانية ،

حقيقة التصوُّر البدائي في « الروح الشبيح » وأن بحثه ، من شيوعها الواسع من حيث الزمان والمكان ، وذكر عليا من الأمثلة ما يجوز اذا تعدد صُوَرها واختلاف ضروبها (١) ولا شك في أنه مزاها الى السبب الصحيح ، حيث رددها الى ما يعالج الانسان من ظاهرة الأحلام والرؤيا ، واتصال ذلك بالمعلومات التي يتلقاها في النوم وفي الغيبوبة والاغماء ومن ظاهرة الموت نفسه . وفي حالة النوم ، حيث يكون الجسم محتاجاً للراحة ، يظلّ النائم غير واعٍ للأشياء المحيطة به . فيخيّل إليه انه رأى أشكالاً كثيرة ، وأنه التقى بأشخاص وحدّثهم وأنه ارتحل سلايمه في أثناء هذه الخاطرات التي تهوّم به في الأحلام ، وأنه تقلد سلاحه . وقد يرى في الرؤى وفي الأحلام ، خيالات مصوَّرة بصور أجدادٍه المتوفّين . ولما كان أكثر الهمج على اعتقاد أن ما يرونه من مخاريب الأحلام ، إنما هي حقائق واقعة ، كالحقائق التي تمرّ بهم في اليقظة تماماً ، فانه من الطبيعي ، بل من المحتوم ، أن تقودهم هذه الأشياء الى نظرية أن النفس الشبيح ، ذلك الذي يستطيع أن يظهر خلال الأحلام في أشكال شبيهة ، تاركاً البدن في حالة أشبه بحالة الميت ، هو بذاته الجوهر الروحاني .

قيل إن الانسان البدائي قد يتصوَّر أن الروح الشبيح شيء مادّي . ذلك في حين أن الأستاذ « تيلور » يصفها بأنها « تصور روحاني » . غير أن وصفك « الروح الشبيح » على ما أدركه البدائيون ، بأنه مادّة أو روح ، إنما هو وصف مُضلِّل مائل الى الخطل ، فان هذا الشيء اذا جاز لنعته بهذه الأوصاف ، وجب علينا أن نصفه بأنه روح مادي . ولا شك في أن هذا تضارب في الألفاظ وتناقض في المصطلحات ، برهاننا عليه أن الشعوب التي تعتقد في « الروح الشبيح » ، لم تستوعب بعد تصوُّر التفرقة بين الأشياء المادية واللامادية ، وبالطبع المادية والروحانية . وهو تصوُّر لم يتميز في عقل الانسان إلاّ في عصور راقية من عصورنا بعض الشيء . ومن الواضح أن « الروح الشبيح » يُدرك بوجه عام ، على أن له كثيراً من خصائص المادية وأنه يختلف عن تلك الأشياء التي يحتاج اليها الروح الحالّ في الجسد ، وأنه معرَّض للآلام والموت ، وللطعم والعطش ، وأنه مقيد بحالات المكان والمادّة ، ولكن بصورة أقلّ مما تكون اذا تقمص البدن البشري . هذه المادية التقمصية التي يتصوَّرها البدائيون « للروح الشبيح » ، تمّ عليها الشواهد التي يلزمها كثير من الجماعات ، إذ يعمدون الى فتح ثغرة أو ثقب في السقف أو الجدار في حجرة الميت ، لتخرج منها الروح المفارقة ، أو هم يرتكزون أنبوبة من القصب وقد حُرِّف في الأرض ليتسنى للجثة المدفونة ، حتى تتمكن الروح من زيارة البدن الذي فارقته .

(1) Primitive Culture E-B-Tylor London 1871, especially chap. xi.

شيئاً ذا بال منها لنستطيع أن ندرك الصورة التي تكونت عنها المعتقد البدائي في « الروح الشبح » : هو الخيال والتشخص . فخيال كل إنسان ، إنما هو شيء حياتي دليق جداً ، يشبه الشبه بالشخص الذي يلازمه في كل صور نشاطه ، ولا يفارقه إلا إذا نام أو مات . وكذلك النفس التي يوجد شبهاً وزناً وزميراً من الأنف أو الفم ، فهو شيء مرتبط بالحياة ، فإذا حدثت حادثة المرت زال واستلى . وجرت العادة في بعض البقاع أن يقرب فم الطفل الوليد من فم المحتضر ، فيتلقى الطفل روحه الشاردة تدخل فيه وتحول بذلك عمره في هذه الحياة . وتعلل أمثلة فرق ذلك على أشبه الصور التي تشبه الفكرات المكونة في عقل البدائيين عن الخيال والتشخص مثل كلمة طيف وظل وروح ونفس [1] .

عرف الأستاذ تيلور « الروح الشبح » تعريفاً لم تقع على أجمع ولا أبين منه ، فقال « إن تصور هذا الشيء قد انحصر في أنه جوهر رقيق غير مادي شبيه بالإنسان ، وأنه في طبيعته ضرب من البخار ، فكأنه غشارة أو خيال ، هو مبدأ الحياة والتفكير في الشخص الذي يحل فيه فيضفي عليه صفة الحياة ، يستقل وحده بالوعي وبالإرادة التي يتصف بها الجسد إذا لابسه في مستطاعه أن يخلف الجسد وراءه ظهوره مماثلة شاسعات ، وأن يتنقل بسرعة البرق من مكان إلى مكان ، هو في أكثر أمره هباء شفاف غير مرئي ، ومع ذلك فله قدرة طبيعية ، وقد يظهر مرئياً لأشخاص ما في حالة الصحو أو النوم ، كطيف منفصل عن الجسم الذي هو شبيه ، يبقى ويظهر للناس بعد موت صاحبه ، فيه النزعة على أن يدخل بدن غير صاحبه أو أبدان حيوانات ، وفيها يؤثر ويحكم وقد يفعل نفس ذلك الفعل بالجمادات » .

منذ أن نشر الأستاذ « تيلور » كتابه « الثقافة البدائية » أصبحت الفكرة الروحانية موضع العناية وأبحث من جانب كثير من المؤلفين ذوي القيمة ، وبالرغم مما كتب ونشر في هذا الموضوع يعتقد الأستاذ « وليم مكدوغال » أن ما كتب « تيلور » في « الروح الشبح » وفي نشوء الفكرة فيه « حتى الآن لم تزعزعه عواصف النقد ولا محاولات التجديد . ومن رأي العلامة « أندرو لانج » Andrew Lang أن اهتلاس [2] اليقظة أو تنبه الأشباح أشياء يمكن أن تكون ذات أثر بالغ في نشأة هذا التصور . وقال سمتر » Smith وغيره من المتشيعين لرأيه أن يثبتوا وجود تصور سابق غير تصور الروحانية ، يجعل لكل شيء في الطبيعة قوة غير معينة تماماً أو خصية بذاتها ، فأثر ذلك في عقل الإنسان البدائي تأثيراً حمله إلى الفكرة الروحانية . بل قالوا : إن هذا التصور

(١) وفي مصطلحات العصور الوسطى Spiritus, Anima, Animus, Pneuma

(٢) مبتلس العقل : مدهوش ، الخبط من ٢٥٩ : ٧)

هو المصدر الذي استمدت منه كل المعتقدات التي شاعت في أرواح البشر والحيوانات والنباتات ، وتصورات التجسيم في القوى الطبيعية[1] والتذكارات في الآلهة والشياطين ، وعلى الجملة ، كل الآراء المتعلقة بالوجودات الروحانية . فمن هذا النبع صدرت كل هذه التخيلات ثم تفرعت فصارت شيعاً وضروباً . ومن رأي الاستاذ « تكلبدوغل » أن هذا الرأي يتسع أن يكون تعقيباً على نظرية « تيلور » ، لا أن يكون نظرية تحل محلها .

إن الانسان البدائي عندما عزى إلى الحيوانات والنباتات والجمادات « رُوحاً شبحاً » فالغالب أنه إنما خصها بذلك بالتبعية لنظريته التي كونها من تأمله في الحياة الإنسانية . جاء هذا الاستتباع بحكم الضرورة ، فإن الأشخاص الذين يشاهدون في خلال الأحلام والرؤى ، يظهرون ومعهم كلابهم وأسلحتهم وملابسهم وغير ذلك من متعلقاتهم المادية . والظاهر فوق ذلك تعليلاً أن « الروح الشبح » في الإنسان ، كان أول تصور تام وصل إليه العقل في وجود قوى ذاتية ذات ذكاء وفهم ، تعيش وتعمل منفصلة عن المادة الجامدة ، وعن كل ضروب الأسر في داخل موجودات بدنية . وإذا صح هذا فإن تطور الرأي في قوى من طبيعة شبيهة بالقوى الانسانية ، وليست انسانية ، كالشياطين والآلهة والأرواح ، خيرة وشريرة ، لا بد من أن يكون قد جاء بالاستتباع والتشعب من هذه الفكرة الأساسية التي كونها الانسان البدائي في « الروح الشبح » الذي يحل في الانسان .

ذاع ما يشبه الاعتقاد بذلك « الروح الشبح » في صور مختلفة وأماكن متفرقة ، فلابس صوراً متباينة . فان بعض الهمج يتفقون مع بعض فلاسفة العصر القديم في اختصاص كل انسان بروحين أو ثلاثة أو أربعة أرواح ، تختص كل منها بوظيفة معينة . غير أن ما يقع بين الشعوب البدائية الثقافة من الاختلاف والتنافر في الرأي تلقاء ذلك المعتقد ، أجلى وأبين عن اتفاقهم وتساوق رأيهم فيه . والنظرية في « الروح الشبح » ذائعة كل الذيوع في كل بقاع الأرض . وهي فوق ذلك ملجأ يُلجأ إليه في تعليل كثير من المعلومات والمرئيات التي تلفت انتباه الناس في مختلف ثقافاتهم . ولهذا قد نفرض ، وقد نكون في فرضنا مخطئين ، في هذه النظرية قد تكونت في عقول كثير من الشعوب وفي كثير من مختلف بقاع الأرض ، إن أن هذه النظرية من المطابقة لأساليب التفكير التي يأخذ بها فريق من النوع البشري البعيد من التأثر بسلطة التصديق العُرف ، ما مكنها من البقاء إلى العصر الحاضر ، حتى لقد أخذت تتنقل مع المأثورات التي ترثها الجماعات الانسانية في مختلف الأصناع وكل مظهر من مظاهر التصور البدائي الذي تم من حول هذه النظرية يمثل له عمليًا واعتقاديًا ، بأشباه

(١) Anthropomophic conceptions

لا تزال ذائعة بين ... من أجيال ... الشعبية المتأثرة ... ولا يخرج من حكم هذه القاعدة الاعتقاد بالرقية التي ... تقدم ... سحراً صريحاً للأرواح الشيطانية في ... فرائد حجرة المحتضر ... تمكن الروح الشريرة من مبارحة المنزل ... يعتقد ... ذلك الوهم الجرماني الثابت ... أن ... الروح الشرير ... الذي يفارق ... في طاه الوعيم ... قد يعود لوضع الطفل ... ويقتل ... بعد ... أثر ذلك على الفور.

إن تاريخ تطور الرومانية في خلال الخطط التي اختطتها الحضارة الأوروبية نحو الكمال يزودنا بمعلومات ... حقيقة أنه إذا كان في جماعة من الجماعات المتحضرة ... من يحاولون ... التقاليد القديمة ... أو يتمسكون ... الخرافة والعادة ... معاً ... من أي واحد ... فيحتفظان ... بالاستمرار ... فإن تفوق التقاليد الطائفة التي يعتز الأكثرون ... بأمثال التقاليد التي تقضي بالأمثل ...

في ... الأمثلة التي تقابلنا فيها الحضارة الأوروبية ... ظلت المعتقدات المتعلقة بطبيعة النفس البشرية ... صورتها القديمة صريحة منطقية. وبالرغم من أن التصور البدائي ... الروح الشبح ... قد ظل ثابتاً في العقلية العامة ... خضوعاً لنفس الأسباب التي أدت الى احتفاظ كثير ... شعوب بشبح هذا الميت على تدابير ما بينهم في الزمان والمكان ... فإنه لم يصبه التغاير ولم يخضع لتطور منتجاً في تطوره تراثاً ملتوية معقدة ولم يدخل الى حيث قد عمى عليه بعض الشيء وأصابه قليل من ظلامية الفكر ... إلا بعد أن تناولته تعاليم رجاله الدين ... وصنعته بوائح الكنيسة ... ومحاولات الحل ... على أن العناصر التي تناقشها التقاليد العامة من هذه المصادر ... تكاد في أكثر الأمر ... منطقية ... الفكرة ... روح الشبح ... وحلوله الخالد ... أعضاء ... لا شك فيها كل ... الجلية ... والخاصة في سير التقاليد العامة ... دون تكون فكرة مصورة مفسرة تصوراً ... إن ... كما ظلت ... شبه ... أو سمية بالمماسية أحياء القبيلة ... ظلت سائدة في ... العصور ... كثير من الشعوب.

وكما تقدمت الحضارة ... زاد الفهم والمعرفة ... في الفكر العام ... هذه الفكرة الخاصة بالطفس حتى لقد ... لنا في عصرنا هذا ... تعاون فيه تيارات الفكر ... على ... الأدوار والمعتقدات ... التي تخلتها الأجيال الماضية محواً وتنقيحاً.

أما أن نحاول أن نتأثر ... الاختلافات والشعب التي ... بين ... تيار الفكر ... تيار التقاليد العامة فذلك ولا شك أمل خائب ... وحاولة باترة. ولهذا سأقصر همي في الصفحات التالية على تأثر تاريخ الرومانية في التقاليد الثقافية دون غيره ... سأعمل على أن أظهر ... بعد المرور ... عصر الرومانية البدائية ... على أية صورة كيفت التقاليد الثقافية هذه

الأساسية ووفيت من حوائجها ، حتى وصلت الى هذا العصر ، فكاد يلقى بها ، بعد أن عجدت على مدى الازمان الخالية في داويه من رواد متحف أنثروبولوجي ، لتكون هناك منارا للاشخاص (١)

إن المؤثرات الرئيسة التي خلقت الروحانية وصورتها في التقاليد الثقافية ، منزعة إياها من الروحانية البدائية ، وقذفت بها في ذلك الجوى المضطرب ، لا تعدو ثلاثة مؤثرات .

الاول — تعليم أنبياء اليهود .

الثاني — تأملات اللاهوتيين والفلاسفة في اليونان القديمة .

الثالث — جهود الآباء النصارى متأثرين بالتقاليد الثقافية المنقولة عن دنيا اليونان القديمة والتقاليد اليهودية ليكونوا مذهبا متصلا مقبولا في الكنيسة .

* * *

المصريين القدماء تصور في الروح يشبه في جوهره تصور « الروح الشبح » عند كثير غيرهم من الشعوب . وإنه ينبغي لنا أن نفرق ، كما قال المبجل الأستاذ

(١) عاشت الروحانية في أساطير الاغارقة ، وتناقل أساطيرها الشعراء ، فقد زعموا أن ملكا كان له ثلاث بنات هي صغراهن بسيكي ، وباليونانى البرناني بسوخي Psyche ، وكانت فريدة في جمالها حتى خيل للناس أنها الزهرة آلهة الجمال ، فحسدوها وغلوها ، فلما رأت الزهرة منهم ذلك أغلظت العزة ، فأرسلت ابنها أروس (اله الشوق) ليرمي قلب بسيكي بسهم ، فيلقى بها في هوى أزرى الناس منظراً وأعدمهم فطرة . فلما رأى أروس جمالها شغف بها حباً . وكان أبوها يرغب في أن يزوجها فأرسل يستشير أبولون ، فكان جوابه أن لف ابنته في كفن ، واحملها الى رأس جبل ، فقدر عليها أن تتزوج من وحش يرعب منظره الناس والجان . ففعلت كما أمر أبولون وحملت الى رأس الجبل وتركت هناك ، موعدة بالزوج الوحش . وما كادوا يغادرون حتى هبط اليها ملاك حملها الى قصر منيف كامل المقومات من قصور الآلهة أروس ، وكان أروس يغشاها اذا جن الليل ، ويفارقها اذا تنفس الصباح ، على غير علم منها ، فلا تراه ولا تعلم من هو ، ووقفت على ذلك زمناً في رغد من العيش وخفض من الحياة ، حتى اذا كان ذات يوم هبط عليها أخواها فاستغلظ ما رأياه عندها من النعيم والسعادة ، وكان أروس قد أوصاها أن لا تسأله عن اسمه ولا تطلب منه أن تعرف من هو . ولكن أختيها قد أوحتا اليها أن هذا الذي يغشاها ليلا هو وحش مأواه الظلام . فلما جن الليل وقام أروس وأخذ منه مضجعاً ، فاذا به أجل الآلهة ، فرحبت النفوس ، ولم تمالك ، فنضت بعض من زيت السراج على كتفه ، فاستيقظ منصباً متألماً ، وتوارى عنها بعد أن عنفها وآذاها بالتعنيف . فوقفت عليه ، وعجت بأن تلقي بنفسها الى الماء ، وخرجت من قصره تطوف البراري والقفار حتى وصلت الى قصر الزهرة ، فسمرت فيه واستسلمت . غير أن أروس كان قد صباً بها ، فلما عثر عليها أبوه بعد أن طوق لها ومضى يبث فيها البرداء والسلوى من غير أن تراه ، ويتحبب اليها ، ثم استعطف الزهرة حتى رضيت ، وتزوج بها ، زواجاً لن يفنيه فراق ، وان ذا لحق

والمستفاد من الاساطير يجمعون على أن هذه الاسطورة [illegible] ، أي الاسطورة النفس ذاتها ، تطهرها من [illegible] ، حتى [illegible]

شارلس [1] ، بين التصور العتيق البدائي ، والتصور الذي انطوى عليه العهد القديم (التوراة) فالتصور البدائي هو أن الانسان يتألف من عنصرين : جسم أو شخص رجيم والنفس متر الأنفاس والشهوة ، وبدرجة أقل ، متر النفس ، وهما متلازمتان متجانستان . والنفس أو الروح تفارق البدن عند الموت ، فتصير هذه الظلال إلى العالم السفلي حيث تكون أرواح الموتى : « شيول » (Sheol) . على أن هذا القول قد تطور بعض الشيء عند غير البدائيين من الشعوب ، فقد اعتقد بعضهم ، أن الروح تظل حائمة تتطوف في الأمكنة المجاورة بعض الوقت بعد حدوث الموت . أما العلاقات والمعاملات الأرضية فكانت تتكرر في « شيول » . فالنبي يقاتل هناك بسيفه ، والملوك بجيوشهم وبروسهم ، والأغنياء بتلك المجلدة المعروفة ، كذلك تقاتل كل أمة بشجاعها ، بل وبكلابها وماشيتها . وزد على ذلك أن المنتقلين إلى عالم الموتى يتعرفون فيه بأجسامهم التي كانوا عليها في برهة الموت . أما أرواح الأجداد فتعرف أرواح أحفادهم وأخلافهم ، وتتعرف عما يقدم لها من خدمة أو مراسلة .

بفضل التعاليم التي أتى بها الرسل تطور الفكرة في الترجمة ، بدأت الروح تنفصل عن النفس . وبالرغم من أن النفس ظلت الجوهر الرئيس للجسم ، ومقر النشاط العقلي لم تختص بالبقاء بعد موت البدن . فبالموت تنطلق النفس وتزول ولا يبقى إلا الروح والنفس فكانت الروح قوة الحياة غير المشخصة (impersonal) تعمل في الانسان والحيوان ، فإنها تعود إلى مصدر الحياة الكلي (Fount of all life) فكل وجود ذاتي ينتهي بالموت . في تقسيم شخصية الانسان ذلك التقسيم الثلاثي ، تستقل الروح والنفس بعضهما عن بعض في الجوهر والأصل . فالروح هو الأصل غير المشخص لحياة والذي مصدره الله ، ويولد بعد الموت إلى الله أما النفس ، وهي المبدأ المشخص في الانسان ، فوظيفة الحياتي تنشأ في الجسم الشبيه ، وتتدثر باتصال الروح من هنا ، وانتهاءً لحظة الوفاة ، تفنى أيضاً عند موت البدن ، ويشير سفر « شيول » وهو مقر الأشرار ، إلى معنى أبدون — [2] Abaddon أو الدمار . البقية ص ٢٥٣ العمود الثاني

---

(1) Charles, Eschatology: the Doctrine of a Future Life in Israel, in Judaism and in Christianity" by R. H. Charles, D. D. (2) Old Testament التوراة

(2) Abaddon جهنم ، الهاوية ، المقبرة ، أحد دركات جهنم ، ملاك الهاوية ، الموت ، الدمار من كلمة عبرية معناها الفناء (Abad) أي destruction or annihilation ومنها اسم العبري أبادون ، وأيضاً أبدون ، سفر أيوب في العهد القديم ٢٦ : ٦ ، والرؤيا ٨٨ : ٩٢ ترجمة الطبعة . .

Same as : Apollyon ana αποκαλυψις

الارشاد الاجتماعي

وعلى أي أساس يجب أن يقوم ؟

الدراسة التشريعية

لكل علم موضوع يختص به دون غيره ، ويبحث في مشكلاته وشتى بحوثه . فاذا اختص التشريع بالانسان وتاريخه ، والفقه بالقوم وحركاتها ، فبأي شيء يختص العالم الاجتماعي ؟

إنه يختص بالأحداث الاجتماعية ، فما على الباحث إلا أن يدرس الأمور الاجتماعية ، بعد أن يترك جانباً ظواهرها الشخصية ، وأهواء نفسه ، ليصل عندئذ الى ايجاد القوانين التي تسير عليها .

وقد يجد بعضهم شبهاً بين الأحداث التاريخية والاجتماعية ، وقد يظن أن موضوع العلوم البيولوجية والنفسية والاجتماعية واحد ، مع ان لكل واحدة من هذه المعارف خصائص ومميزات .

فالحوادث التاريخية والحوادث الاجتماعية قد تتشابه كثيراً ، ولكن الخلاف بينها ينحصر في وجهة النظر وطريقة البحث . فالمؤرخ يدرس حدثاً مقترناً بالزمان والمكان ، أما الاجتماعي فيخرج من الزمان إلى المكان ، ويجمع عدة حوادث تشابهت ، ويلخصها ، ليأتينا بالقوانين التي تسير عليها .

وعليه فإن الأحداث الاجتماعية مستقلة عن الأحداث التاريخية والبيولوجية والنفسية .

وقد قال دوركايم في كتابه عن الانتحار : « إذا كان هناك علم للأحداث الاجتماعية ، فلا بد له من أن يقوم بدرس عالم جديد ، يختلف عما تدرسه سائر العلوم ، ولا يؤبه لهذا العالم الجديد إلا إذا كان مكوناً من مجموعة من الحقائق »(١)

---

(١) راجع Durkheim; Le Suicide الانتحار

وراجع أيضاً علم الاجتماع الديني للاستاذ يوسف شلحت — الفصل الاول — توطئة

والحق أن الأحداث الاجتماعية حقائق واضحة ، أي إنها لا تقل في حقيقة وجودها عن الأشياء المادية . و « الشيء » في حد ذاته يمتاز بكونه لا يتغير طوعاً لإرادة الانسان ، وإذا أراد الانسان أن يحدث فيه بعض التغيرات ، عليه أن يبذل بعض الجهد ، بسبب الموانع والعراقيل التي يضعها « الشيء » في وجهه . والاحداث الاجتماعية تغير الصفة فهي لا تخضع لإرادتنا ، بل ان ارادتنا هي التي تتقيد لها ، وإذا حاولنا مقاومتها ، وأفلحنا في محاولاتنا ، فالقوات التي تضعها في وجهنا والصعاب التي تقابلنا هي الدليل على استمرارها علينا .

لا نريد أن نذهب إلى حد القول بأن الاحداث الاجتماعية هي أشياء مادية ، إذ أن القول بمادية هذه الاحداث مبناه أنها كالأشياء خاضعة لقوانين حتمية تحدد التغير في الباحث دقة أن لا يتسرب لنفسه فكرة الجبر الاجتماعي ، ولكننا نقصد إلى أن نقول إن الاحداث الاجتماعية ليس أمرها فوضى لا قياس لها تقاس عليه ، بل إنها تخضع بدورها لقانون « السببية » الذي يعرفه العلم الحديث في ميدان التجربة ، وان كان يتحتم على الباحث الاجتماعي ان يقوم بإجراء تجارب كتلك التي يقوم بها الكيماوي ، وهذا ما عده بعض المفكرين ، ومن أشهرهم « جون ستيوارت مل » إلى القول باستحالة التجربة في العلوم الاجتماعية .

على أن الأصح أن يقال ، إن القانون ، وهو مظهر وثمرة التفكير العلمي الدقيق ، لا يمكن وحده أن يستطيع بحث المجتمع في التقلب الفني أو التمرذجي الذي يريده ، فالمصلحون والمشرعون ، كما لا يخفى رعيه ، في أن يكون الذكاء الاجتماعي الأول لحارة الدهراء والعقل الذي يمسكه ، بدون أن يكون التجربة العلمية الناجحة دائماً ، أو المعول الأول دائماً عند تنفيذ برنامج الاصلاح الاجتماعي جملة وتفصيلاً ، ولعلنا نستطيع بعد ذلك أن نرد على الفكرة الشائعة التي أثيرت في اعتراضات نظرية طالما عالجناها ولما نقدرها بمناسبة عرض مشروع القانون المدني الجديد في بريطانية المصرية ، وكيف انصب اعتراض جملة فقهائنا على تأكيد خطورة ذلك المبدأ الذي ينادي بأن نفزع إلى سلاح التشريع كلما توهمنا أن ثمة نقصاً يعترض تراثنا القانوني في أي ناحية من نواحيه المتعددة .

فاذا كان هذا هو المثال في ميدان من صميم القانون وموصول بأوثق أواصر النسب الى التشريع كعلم وفن ، فكيف به في ميدان الارشاد الاجتماعي الذي يعتمد أول ما يعتمد على إحسان سياسة التوجيه قبل اتقان مهنة التقنين ، ويعني أول ما يعني بتلقين الأخلاق الاجتماعية عن طريق الاقناع والاختيار لا عن طريق الاكراه والضغط والجبر ؟

* * *

إن الحقيقة الجديرة باعتبارنا ، والتي دلت عليها الحوادث والوقائع في مجتمعات شتى لا ينقصها أن توصف بالتحضر والرقي ، تعدونا الى أن نجعل التشريع آخر ملجأ نلجأ إليه ، بل إنها لتحثنا على أن نجعل أي تشريع من تشريعاتنا صدًى أميناً لثروتنا المادية وملابساتنا الاجتماعية وبخاصة من النواحي العقلية والنفسية والأخلاقية ، حتى لا نجيء هذه التشريعات بمثابة أثواب فضفاضة يتعثر فيها الشعب ، أو ثقل ألفازاً ومُعَمَّيات لا نربط بينها وبين عقلية الشعب المتطلب لإشرابها وتشبعها أية رابطة من روابط الانسجام والتلاؤم والاقتناع بصواب الحقائق التي تنطوي عليها هذه التشريعات ، وليس من بدع في هذا الأمر ولا غرابة ، وبخاصة إذا عرفنا أن القانون لم يخلق المجتمع البشري ولكن المجتمع هو الذي خلق القانون ، وتطور المجتمع البشري هو الذي ساعد على تطور القانون ومكّن له من أن يستجيب الى الصور التي تلبي حاجات الجماعة البشرية وتماشي مطالبها العادلة .

اذا أدركنا هذه الحقائق كلها ، أمكننا أن نكشف السر في تقاعس كثير من التشريعات الوطنية عندنا عن تلبية مطالب الجماعات ، ويطرق في موردها وتلاشيها تدريجاً الى حد نسيان أمرها ، بعد ما أثارت من الضجة والدوي ساعة ميلادها وإخراجها للافراد في صورة قواعد ملزمة .

ولقد عانت مصر ذاتها هذه التجربة وستظل تعانيها طيلة فترة الانتقال التي تجتازها منذ ثورة عام ١٩١٩ . فلقد تفتحت روح القومية المصرية تفتحاً سريعاً وانبعثت تطلب آفاقاً جديدة من العيش ، فكان أن حاولت الأداة التشريعية مسايرة هذه النهضة في كثير

من مناحي الحياة ، ووقفت في بعض خطواتها على حين أنها تعثرت تعثراً ملحوظاً في بعضها الآخر ، مما يدلنا أقطع الدلالة على أن كل إصلاح لم يختمر بعد في نفسية الجماهير ولم تهضمه بعد عقلية أبناء الطبقة المطالبة بإطاعة القانون الاصلاحي الموضوع لصالحها ، لا يكون مآله إلاّ الاخفاق والفشل واستبعاده من ثبت النظم الاجتماعية التي تسير على نهجها حياة الجماعة .

إذنا إذن يجب أن نطامن من تحمسنا الثائر للاصلاح الاجتماعي عن طريق التشريع ، وبالتالي ، من الايمان الأعمى بجدوى القاعدة الملزمة في تثبيت أقدام الارشاد الاجتماعي وتقوية معنوية المرشدين . وأحجى بنا وأولى أن نكوّن العقلية الاجتماعية المستنيرة عن طريق التدرج الوئيد الذي تمليه طبائع الأشياء في نطاق الاجتماع ، من أن نحاول الطفرة بأفراد الشعب الى حد الكثرة به بصورة قد يستحيل بعدها إقالته من عثرته أو تخليصه من كبوته ، فضلاً عما يتخلف في نفسية الجماهير من جراء ذلك من سوء ظن بالمشرّعين وواضعي القوانين .

على أن هذه الحقائق كلها ليست بحالة دون اليد في دراسات فنية اجتماعية مقارنة يتوفر عليها نخبة من المتفلسفين من الدراستين القانونية والاجتماعية ، ويتم اعدادها وتحضيرها في جوّ التعاون المشترك ، ولتحاول بدراسة المشكلات التي نشعر أن عقلية الشعب قد بلغت إزاءها حداً من النضج والفهم يجعلها سهلة التقبل لكل إصلاح يأتيها عن طريق التشريع

* * *

ولقد توفرت وزارة الشؤون الاجتماعية بالفعل على اعداد طائفة من هذه الدراسات ، تتعلق بالطفولة المشرّدة والأبوّة غير الجديرة بهاية أبنائها وبمشكلات الطلاق وتعدد الأزواج الى غير ذلك من الدراسات التي بلغ نضجها درجة عالية من التجديد والاتقان ، لولا ما شاب بعضها من روح التسرع المسيئة التي أشرنا إليها ولولا ما يؤخذ على بعضها الآخر من تخاذل الدراسة الاجتماعية أو تخلفها عن مسايرة الدراسة الفنية جنباً الى جنب ، كما يلم المشرّع ، وهذا أمرٌ من الأهمية بمكان ، بروح الموضوع من الناحية الاجتماعية وحقيقة

العقد التي يجب عليه معالجتها وحلها ، كي يستطيع أن يحكم بعد ذلك على مدى جدوى الثوب التشريعي في إعداد المشروع وإخراجه الى حيز الوجود .

* * *

لهذا أرى — ويرى معي الكثيرون — أن تكون الرابطة التي تربط بين أداة الدراسة الاجتماعية ، ممثلة في ادارة الارشاد الاجتماعي ، وبين أداة الدراسة التشريعية ممثلة في ادارة البحوث الفنية والتشريع ، على أقوى ما تكون الروابط ، بل إني لأذهب إلى أبعد من ذلك فأنادي بوجوب إدماج كل من هاتين الادارتين في ادارة كبيرة شاملة تتولى العملين جميعاً وتشرف بعبء العمل من بدايته الارشادية إلى نهايته الفنية العلمية . وهنا سيظهر لنا مدى التفاعل بين الحقائق الاجتماعية في محيط الحياة العملية ، وبين الحقائق التشريعية في أدق صورها العلمية والفنية ، حقيق أن يكشف لنا عن آفاق جديدة من الاصلاح تجيء أكثر مسايرة لواقعية الحياة القومية المصرية ، من هذه المحاولات الاصلاحية العرجاء التي لا يكاد يجمعها جامع أو يربط بينها رابط .

ولا وقت أقول إن التخصص مفقود ، أو يكاد يكون مفقوداً في إدارة الارشاد والحال كذلك في قسم التشريع الحالي بادارة البحوث ، إذ أن تنظيم الوضع الجديد المقترح لا يمكن أن يؤتي بثمرته المرجوة إلا بواسطة تكثير عدد الاخصائيين في كل من فروع الادارتين واستبدالهم بغيرهم من غير المتخصصين الذين يعملون فيهما

* * *

وإلى هنا تنتهي فصول البحث وقد راعيت فيها عناية المقل العلمي ، والتفصيلات المرهقة كي أخلص منها الى صورة لعلها تكون أقرب إلى الموضوع في أذهان القراء ولعلها تجعلهم بعد ذلك يؤمنون بخطورة مشكلات الارشاد الاجتماعي وبخطورة موضوع الاصلاح الذي يجيء عن طريق الارشاد .

جمال الدين حمدي

رئيس الارشاد الاجتماعي بوزارة الشؤون

تمثيلية الكاتبة الفرنسية «ماري مندرون»

چيزيل

ابنة الامبراطور شارلمان

نقلها الى العربية واعدّتها تمثيلية

الآنسة : نعمت رجبي

الأشخاص

فرديناند: من أبناء الشلاه في البلاط الامبراطوري	فرانسوا : من حاشية الامبراطور المقربين
أدولف : » » »	هارلك : فرصان وثني
شارلمان : الامبراطور	اليزابيت : ابنة الامبراطور شارلمان الثانية
چيزيل : ابنة الامبراطور شارلمان	

في البهو الامبراطوري

فرديناند : ألا ترى يا أدولف ، أن الامبراطور قد أصبح قلقاً مضطرباً في هذه الأيام؟

أدولف : نعم .. لقد لحظت عليه ذلك يا عزيزي فرديناند

فرديناند : إن الامبراطور شارلمان ، الذي أنفق ثلاثة وثلاثين عاماً من عمره حتى الآن وهو يحكم مملكته العظيمة .. ملك أعنة المجد .. وبلغ من الفخر غايته ...

أدولف : فأنى يقيم في هذا القصر ، طلباً للراحة لمدة من الزمن .. أليس كذلك ؟

فرديناند : عفوك يا عزيزي ، إن الامبراطور ، قد أتى الى قصر الجوميج .. لانه اعتزم الاقامة به .

أدولف : اذن فهذا القصر القائم بالقرب من الدير .. والذي تشرف أسواره الضخمة ، على نهر السين ، سينتظره شارلمان مقره الجديد .

فرديناند : هو ما تقول ؛ فان الحياة في هذا القصر تلذ للامبراطور ، ويطرب لها .. غير أنه أصبح قلقاً مضطرباً ؛ من رؤية تلك القوارب الكبيرة التي تمخر عباب البحر . وكأنها هي تطير فوق المياه ، في خطوط منتظمة وقد جلس فيها الجدافون صفين ...

أدولف : انها قوارب فريدة في نوعها .. لها قوادم غاية في العلو . لا تنال نهايتها الأمواج مهما تعاظمت . وقد نقشت أعالي هذه القوادم ، على هيئة رأس حيوان التنين .. رمز الوثنية .

فرديناند : إنك لا زلت حديد البصر ، كمهدي بك يا صاحبي .. أرأيت أيضاً ، أن هذه القوارب ، لها قلوع بيض صيغة .. بعضها مخطط بالأحمر الأرجواني .. وبعضها مخطط بالأزرق السماوي ؟

أدولف : أجل ، ورأيت أيضاً ، ذلك البريق الذي يأخذ الأبصار ، عندما تنعكس الشمس على دروع الجدافين المتقاربين .

فرديناند : كفى يا عويزي . فربما أتى الامبراطور على حين غرة .. فيسمع ما يدور بيننا ، عن أولئك الرجال الذين يثيرون غضبه ...

أدولف : لقد كان بالأمس في حالة شديدة من الغضب . وهو ينظر من هذه الشرفة . وقد اسند الى حافتها بقبضتي يديه المرتعشتين .. وكان الكل من حوله سكوتاً .. حتى الأميرة جيزيل ابنته ...

فرديناند : آه . جيزيل ، ذات العذائر الذهبية الطويلة .. إنها أعز أخواتها على أبيها .. لله ما أجملها ، وما أبهاها .. آه ! اني أتمنى

أدولف : على رسلك يا فرديناند .. كنت من ساعة تنصح لي أن أكون حذراً ، وأنا أتكلم عن أولئك الرجال الذين أتوا يزاحمون الامبراطور في بلاده . فما بالك الآن ، تسرف في الكلام عن إبنته ، غير عابىء بما في ذلك من

لخطر الشديد .

فرديناند : وأي خطر في ذلك ؟

أدولف : ألم يصل الى علمك أن الامبراطور يغضب غضباً شديداً ، إذا علم أن رجلاً ينظر الى إحدى بناته ؟

فرديناند : حتى ولو كان من أبناء النبلاء ؟

أدولف : بل ولو كان ملكاً متوّجاً. فهو يؤثر ألف مرة ، أن تهب ابنته نفسها للدير من أن يراها من دبائر الشيطان .

فرديناند : إن كان ما تقول ، فإني أخاف أن يتبدّل حبي والتقدير لذلك الرجل .

أدولف : صه ، يافرديناند . والأفضل لنا أن نتكلم في أمور خاصة بنا . لئلا يباغتنا الامبراطور . أرأيت ما هو ذا مقبل علينا من بعيد . فلنصلح من شأننا ما استطعنا . فهو يحب أن يكون أبناء النبلاء ، حسني الخدام .

فرديناند : آه ! وها هي جيزيل صحبته . (صوت خطوات تقترب)

شارلمان : فرديناند . أدولف . أرى عليكما أثر الاهتمام . ويخيّل على ظني ، أنكما كنتما تتكلمان من أولئك المحاربين الاخساء المجانين .

جيزيل : أبي ! يجب أن نضع حدّاً لهذه الحال . إن أولئك الرجال ، على ضآلة شأنهم ، أوشكوا أن يسببوا القلق لجميع من في القصر .

شارلمان : لقد أصدرت أوامري بالأمس ، الى بعض من أثق بهم ، ممن فيهم دراية وخبرة ، بقلعة الكبين . لأسر ولو رجل واحد ، من أولئك الرجال . فربما هدّئتهم أنفسهم ، واعتبروا بما أراكم من السواحل في مكون الليل .

جيزيل : وهل نجحت الخطة يا صاحب الجلالة ؟ هل وقع واحد منهم في الكبين ؟

شارلمان : نجحت الخطة ياصغيرتي . ونجحت الى حدّ بعيد . فقد وقع في الكبين رئيس الجماعة ، وأخذناه أسيراً ، واسمه هارالد . هيا ، فرديناند . هيا ، أدولف ستشاهدان بعد قليل ، هارالد الوثني وهو يعرف الاسان

الفرنسي . فقد لقنه إياه رجل فرنسي ، وقع في أسر أبيه ، كما يزعم .

فرديناند : هل ننتظر أوامر بتليغها طبنا صاحب الجلالة الامبراطورية ؟

شارلمان : لا ، مكانكما يا صديقي . فبعد لحظة ، سيزدحم هذا البهو الكبير ، بسفهاء البلاط الامبراطوري . وسيتناثر رهبان الدير الى هنا وهناك بعد أن ذاع خبر وقوع هارالد ، ذلك الذي يدّعي لنفسه امارة البحر ، ومن بعد ، ليس إلاّ أفّاقاً من الشمال ، ذلك الفيكنج ، كما يسميه بعضهم . والنورماندي كما يسميه البعض الآخر . فالكل يريد رؤيته . (صوت جلبة وأقدام)

الأصوات معاً : حاشى الامبراطور شارلمان .

شارلمان : خذوا أماكنكم يا سادة . تقدّم هنا ، يا فرانسوا . تكلم . هل رأيت السجين ؟

فرانسوا : نعم يا مولاي . رأيته عندما اقتيد الى السجن . وهو شاب في مقتبل العمر . كبير الجسم ، متين العضلات ، جميل المحيا . وكان يحاول التملص من حراسه ، وقد بدت عليه سمة التوحش والكبرياء . أشبه بفهد صغير وهو ينظر فيمن حوله ، بعينيه الزرقاوين ، وكأنما الشرر يتطاير منهما .

شارلمان : هل بلغتهم أمري .. إني أريد أن أراه وأكلمه في الحال ؟

فرانسوا : نعم ، يا مولاي .. وسيأتي بعد قليل ، مكبلاً بالسلاسل والأغلال ... (صوت جلبة)

شارلمان : إني أسمع جلبة .. لعله هو ، آه ؟ نعم .. ها قد أتى . (بغضب وقد رأى هارالد مقبلاً عليه) أنسى لك هذه الجرأة ، فتأتي أنت وأتباعك ، لمناهضتي في بحاري وأنهاري ؟ ألا تعرفون اسم الامبراطور شارلمان ؟ ألا تعلم أني السيد المطلق ، على هذه الممالك الشاسعة ؟

هارالد : (بهدوء) أنا ملك البحر ، ومملكتي أكبر من مملكتك جميعاً .

شارلمان : إنني أحكم رجالاً كثيرين ، يحطمهم العد .

هارالد : أنا أسيطر على الأمواج — وهي أكثر عدداً وكثرة ، من رجال الأرض جميعاً .

شارلمان : ألا تعرفون حدكم ، أني أخضعت اللومباردين ، وأخضعت تاجهم الحديدي .. وكذلك أخضعت الباڤريين والآڤاريين وأهل اسبانيا .. وإني جعلت من الساكسونيين نصارى ، وأنزلتهم على حكمي ؟

هارالد : لقد جعلت الأمواج تنحني لقواربي ، وهي خاضعة ذليلة .. وانقادت العواصف لأوامري وتصرفي .. فأنا سيد الزوابع والهواء .. وأنا أعز منك سلطاناً .

شارلمان : (هاجماً عليه) هيا أغرب عن وجهي .. وإلا تتلتك في الحال

هارالد : (هاجماً على شارلمان) سأحطم رأسك بهذه السلاسل .

جيزيل : (بجزع) أبي ؟ (لهارالد) كيف تهجم على مولاك ، أيها التعس ؟

هارالد : سيدتي ، إني آسف .. ويؤلمني ان هذه السلاسل ، قد مسّت شعرك الجميل .. وهي غلطة أشعر منها بالخجل .

شارلمان : (متهكماً) حسن . هارالد ، امبراطور ا امبراطور الزوابع وملك الهواء . تحت سطوتي وتصرفي .

هارالد : ليس في مقدورك غير قتلي .

شارلمان : أقدر على أكثر من ذلك .. سأحتفظ بك مكبلاً بالسلاسل .

هارالد : إذا سادَ أحدهُ طائراً متوحشاً .. فليتأكد أنه سوف لا يحتفظ به طويلاً .. وأن الطائر سوف يعود الى الحرية .. أو يحطم رأسه على قضبان القفص .

شارلمان : هذا جميل .. إذن ، عد الى السجن .. وحاول أن تفلت منه .

موسيقى

جيزيل : (وقد رأت فرانسوا مقبلاً عليها باهتمام) آه ! هذا أنت يا فرانسوا .. أوراءك شيء من الأخبار ، أيها العجوز ؟ .

فرانسوا : أتود مولاتي ان تسمع أعجب الأخبار ؟

جيزيل : بلا شك . . على أن تكون أخباراً صحيحة . . ليس فيها شيء من المبالغة .

فرانسوا : عفواً . . هل قصصت يوماً على مولاتي شيئاً خلاف الحقيقة ؟

جيزيل : إذن هيا حدثني عن تلك الأخبار ، التي تسميها عجيبة .

فرانسوا : إنما أريد أن يبقى ذلك سرًّا بيننا ، يا مولاتي !

جيزيل : أعدك بذلك .

فرانسوا : لقد فرّ هارالد الفيكنج . وقد وجد باب السجن المنديالي العظيم ، مفتوحاً على مصراعيه . كما وجدت الأغلال الحديدية ، على عتبة الباب . وكأنه يروم بصنيعه هذا . الاستهزاء والسخرية .

جيزيل : (بصوت خافت) هرب يا رحمة السماء . (لفرانسوا) وماذا قال الامبراطور عند ما علم بهذا الحادث ؟

فرانسوا : غضب غضباً شديداً . وأمر بالبحث عن الهارب ، وقتله أينما عثر عليه . وان لا يذاع خبر هربه إلاّ بعد القبض عليه .

جيزيل : إنه حادث غريب ، كما تقول . ولكن ، هل تظن إنهم سوف يعثرون عليه ؟

فرانسوا : لست أدري . بل يغلب على ظني ، إنهم لن يعثروا عليه أبداً . لقد سمعت أموراً غريبة ، عن أولئك الفيكنج .

جيزيل : وماذا سمعت ؟

فرانسوا : سمعت إنهم أتوا من بلاد بعيدة في الشمال . تحيطها أسوار ضخمة من الثلوج البرّاقة . وإنهم يعرفون أغنية يغنونها إذا أرادوا طي الأمواج ، حسب هواهم . وأغنية أخرى ، تقتل بها الزوابع فتخضع لسلطانهم .

جيزيل : لا ريب أن تشاع مثل هذه الأقاويل ، في أحوال كهذه . والآن هيا اذهب إلى شقيقتي الأميرة البزابيت . وقل لها إني أود أن أراها . وإني منتظرة هنا .

فرانسوا : سمعاً وطاعة ، يا مولاتي سأذهب في الحال (يخرج)

جيزيل : يا الهي ! مالي أشعر بالخوف . أليس من الخجل ، بل من الدهش ، أن أشعر بي حيال هارالد ، عابد الأوثان ، الذي اجترأ على أبي ؟ إني لأشعر أن وجهي يحمر خجلاً . وكم أتمنى ألاّ يعثروا عليه أبداً ! . فلا تقلق سلافي ، وليحفظ الله قلبي بعيداً عن الشطط (ضجة خفيفة) يا الهي ! ماذا أرى . هارالد !

هارالد : لا تنصرفي يا سيدتي الجميلة . فما أريد بك سوءاً

جيزيل : ولكن ماذا جاء بك هنا ؟ ألا تعلم ان والدي يبحث عنك ليقتلك . فلماذا لم تهرب ؟

هارالد : لقد هربت .

جيزيل : إذن ، فلماذا عدت الآن ؟

هارالد : أردت أن أراك . أردت أن أقول لك مرة أخرى ، إنه أحرقني ما بدا مني . وإني عند ما عدت الى سجني ، في تلك الليلة ، لمحت خيطاً حريرياً من شعرك الذهبي الجميل ، ملتفاً حول أغلال الحديدية ، مما سبب لي الخوف . وجعل عيني الجريئتين ، تعرفان معنى الخجل ، وها تتواريان تحت أجفانهما . أردت أن أقول لك أيضاً يا سيدتي : إني سأبقى طول حياتي محتفظاً بذلك الخيط الحريري الثمين .

جيزيل : قلت لك اهرب يا هارالد . اهرب في الحال وإلاّ قتلت .

هارالد : لا أستطيع . أريد أن أبقى قليلاً . فقد سحرني جمالك في هذا الثوب الأبيض الناصع . وهذا الأزار المرصع بالذهب . ثم ما أجمل غدائرك الذهبية المسترسلة . ماذا ؟ أتمتدين أطرافها بأحجار الزمرد . فما أجمل هاتين اليدين البضتين ، وبينهما هذا الكتاب ذا النقوش الذهبية .

جيزيل : هذا هو الكتاب المقدّس .

هارالد : أرنيه يا سيدتي . من يكون هذا الطفل المسكين ، الراقد فوق القش . ولمَ هو عار ؟

جيزيل : هذا هو المسيح .. وقد ولد باكياً ، ليكون عزاء المستضعفين .

هارالد : أما آلهتي أنا فانهم أقوياء . لديهم الأسلحة الحديدية . ولهم خوذات من الذهب ، تضع فوقها أحجار ثمينة بلون البحر . وثيابهم من نسيج الذهب والفضة . وهم أقوى من العاصفة . وأجل من الشهب عند الغروب . أما أصواتهم ، فهي ما يترامى الى أسماعكم . تسمعونها اثناء الروابع . خلقت أسلحة الصيف الجميلة ، من بأسهم . إنهم ليمكنون قصراً أبوابه من خالص الذهب ، وأرضه من أحجار الزمرد . واذا أرادوا الهبوط الى الأرض ، وصلوا إليها وهم يمشون بأقدامهم المقدسة ، على قوس قزح . إني لأشفق على إلهك المسكين .

جيزيل : كفى يا هارالد . قلت لك اهرب . إني أسمع وطء أقدام .

هارالد : حسناً .. سأختفي من هذه النافذة التي أتيت منها . الى اللقاء يا سيدتي الجميلة .

جيزيل : آه ! لم يخطىء حدسي فقد كنت أشعر بوجود هارالد ، حولي في كل لحظة . (صوت أقدام) .

اليزابيت : آه ! جيزيل . أسعدت صباحاً يا عزيزتي . لقد أخبرني فرانسوا إنك هنا في انتظاري . ولكني أبطأت عليك قليلاً . فقد كنت في جدال مع الأميرة مادلين .

جيزيل : لقد كنت أشعر بالملل والسأم من كل شيء فأرسلت إليك . ولكن فيم كنتما تتجادلان ؟

اليزابيت : كنا نتكلم عن ذلك الفيكنج ، الذي وقع في أسر أبي .

جيزيل : وهل علمتما عنه شيئاً جديداً ؟

اليزابيت : لا ، إنما كانت مادلين تقص عليّ أموراً غريبة ، متعجبا من غريبتها من أولئك الفيكنج ، وبلادهم وحياتهم . وهي قصص لا يكاد يتصورها العقل .

جيزيل : لقد سمعت أنا أيضاً ، مثل هذه الروايات الغريبة . ولكني أرى أنها روايات مختلقة ، لانصيب لها من الصحة .

البرنسيت : ولكن ، ألا ترين معي ، أن جرأة هارالد الوثني ، لا مثيل لها . كما أن جماله عجيب يفوق حد الوصف ! انه أجمل من أي أمير رأيته حتى الآن . آه ! مالك يا جيزيل . فيما تفكرين ؟

جيزيل : لا شيء . إنما أنظر الى السحب الذاهبة نحو الشمال . (صوت وقع أقدام)

فرانسوا : سيدتي الأميرة البرنسيت . عفواً . فقد أكون قطعت عليكما الحديث .

جيزيل : ما وراءك من الأخبار ، يا فرانسوا ؟

فرانسوا : خبر سار . لقد تعطف مولاي الامبراطور وأمر بإقامة حفل صيد في الغابات القريبة من البحر .

جيزيل : ومتى يتم هذا الحفل ؟

فرانسوا : في الغد يا مولاتي . وسوف يشهده جلالة الامبراطور .

البرنسيت : آه ! هذا حسن . هل أخبرت الأميرة مادلين ؟

فرانسوا : لا يامولاتي . لم أخبرها بعد .

البرنسيت : اذن . عاقصب إليها أنا لكي أخبرها بذلك . أكبر ظني أنها ستفرح وتطرب بهذا الخبر ، أيما طرب .

جيزيل : سأعود إليك بعد قليل . (تخرج)

فرانسوا : هل تأذن لي مولاتي ، بالذهاب ؟

جيزيل : نعم ، اذهب يا فرانسوا (يخرج) لو أتيح لي أن أرى هارالد في الغابة ! قلبي يحدثني بأنني سأراه هناك غداً . إن خوفي من لقائه ، يفوق شوقي لرؤيته .

موسيقى

(صوت الأبواق من بعيد . ثم صوت جواد يعدو . ثم يتمهل على مهل)

جيزيل : ما أجمل هذا المكان المنفرد من الغابة . آه ! وهذه الأشجار الكبيرة ! أخاف أن أكون قد أبعدت كثيراً عن الجماعة ، وأنا أطارد تلك الوعلة الملعونة ، التي اختفت فجأة . آه ! ماذا أرى . من يكون هذا الفارس . هارالد ! ما أحوجني الى الشجاعة (صوت جواد يعدو ثم يتمهل)

هارالد : جيزيل ! لا عليك . تعالي . اتبعيني (تسرع عدو الجرادين)

جيزيل : لقد دلات قلبي رعباً . كفى يا هارالد . لقد أبعدنا كثيراً . وأصبحنا بالقرب من الشاطىء .

هارالد : كما تودين . ولنترجل عن جوادينا (ويترجلان) هن ترين ذلك الغارب . انه قاربي . وهو في انتظاري . جيزيل ! اتبعيني الى مملكتي .

جيزيل : لا أقدر . ولا يمكن لي أن أترك أبي

هارالد : بل تعالي معي . يكن ابعر مملكتك . وانبت كما أحب الأمة .

جيزيل : لا أستطيع

هارالد : بل اتبعيني . وإلا حملتك قسراً .

جيزيل : دع يدك يا هارلد . فقد آلمتني

هارالد : آسف . والتمس صفحك عما بدر مني . (لحظة)

جيزيل : هارالد ! ماذا بك ؟ .

هارالد : لقد مسّت جدائلك يدي . وأنا أبغض كل معصيك الآن . تذكرت يوم رأيتك للمرة الأولى . جيزيل ! أإذا أصبحت مسيحيًا وآمنت بالهك فهل يوافق أبوك على زواجنا ؟

جيزيل : لا أظن . فهو لا يقبل أن يقدم للمسيح نفساً ، عن طريق الغواية . فارحل ودعني يا هارالد . لقد كتب علينا ألا ننال سعادة العيش معاً .

هارالد : جيزيل ! لقد هيمن حبك على قلبي وعقلي . وبت لا أرى في العيش معنى بغيرك .

جيزيل : آه ! ما كنت أحسب أن الحب يعصف بالقلب بهذه القوة .

هارالد : جيزيل ! في استطاعتنا أن نسعد بالحب . فلم يحبط سعي شقائنا . حبا اتبعيني يا جيزيل . اتبعيني الى حيث تنتظرنا السعادة .

جيزيل : كيف أسعى الى السعادة ، وأخلف من وراءي أبًا حزينًا ، يذكرني بالعين حتى الثبات . أيجوز لي أن أطعن قلب أبي ، ذلك الشيخ العظيم في سبيل حبي وسعادتي ؟ . إذن ، فليبق هذا جسدي ، أما قلبي فهو معك . فارحل يا هارالد .

هارالد : لا ، بل صاحبي ، لكي أنتزع ذلك الرجل الذي يزوجونك منه .

جيزيل : لن أكون زوجة لرجل على وجه الأرض . بل سأكون راهبة في أحد

الأديرة . أناجيك في عزلتي . أناجيك وقت السحر . وأستقبل نسيم الصبح على ذكراك ، الى أن أغمض عيني فكرى . فارحل يا هارالد . ارحل

هارالد : ولكني لا أريد الرحيل . أريد أن أموت وأنا بالقرب منك .

جيزيل : أتوسل إليك (صوت النفير من بعيد . تتقول له بجزع) هارالد . هيا اركب القارب . فاني أخاف عليك .

هارالد : ولكني لا أقوى على الرحيل . ان نظراتي لا تستطيع أن تتحول عنك .

جيزيل : أتوسل إليك . أيرضيك أن أركع عند قدميك ؟

هارالد : سأذهب . سأعود الى حياة البحار . حياة الروائع والحوادث . وسأصبح معروفاً بالرئيس ذي العينين القاسيتين . الذي لا يحب الكلام . ولا يبتسم أبداً .

جيزيل : اما أنا . فاذا عدت الى قصر الجومبيج . فسأركع أمام أبي الامبراطور . ليأذن لي بالترهب . وسأعيش بقية حياتي ، في أحد الأديرة : منقطعة عن العالم . أبكي سعادتي المفقودة .

هارالد : وسيصبح هارالد الثيكتنج ، ولا تعرف السعادة الى نفسه سبيلاً . لأنه التقى يوماً بجيزيل ، إبنة الامبراطور شارلمان ، وانتف خيط من شعرها الذهبي ، حول معصميه . والآن ، دعيني أقبلك قبل أن أرحل عنك الى الأبد (لحظة) جيزيل ! دعيني أنظر الى عينيك مليًا .

جيزيل : كفى يا هارالد : هيا اركب القارب . لأعود أنا الى الجماعة . قبل أن يلحق بنا أحد . اذهب وليحرسك الله .

هارالد : وداعاً يا جيزيل . وسأناديك من بعيد ، كما جنّ الليل وساد السكون . سأناديك بكل قوتي ، وأنا أنظر صوبك . فاصغي جيداً الى صوتي ، إما مختلطاً بأوراق النسمات . وإما متغلغلاً في هزيم الرعد وقصف الأمواه . سأجعل إسمك أهزوجة يترنم بها الأمواه في جوف الليل . فوداعاً ياجيزيل .

جيزيل : وداعاً يا هارالد .

موسيقى

تعالت صيحات

طليطلة

أتيحت لنا أثناء اقامتنا بمدريد فرصة زيارة بعض ما يحيط بها من الضواحي القريبة منها كالاسكوريال ومدينة طليطلة لقضاء سحابة يوم كامل في كل منهما حسب الخطة الموضوعة بمعرفة قادة البعثة والمختصين بوزارة الخارجية الأسبانية . وقد كنا نتمنى أن تطول اقامتنا في كل بلد نزورها لنكون أكثر تعرفاً بها وبمعالمها وآثارها ، إلا أن ضيق الوقت وارتباطنا بعودة الباخرة جعلنا نخصص لطليطلة يوماً واحداً ، ومع ذلك فلن أتركك تسبح في خيالك لتتصور هذه المدينة العربية ، وترسم لها صورة قد تكون غير حقيقية ، اعتماداً على ما قرأته عنها أو ما سمعته من أخبارها . بل سأقص عليك ما شاهدته فيها بدون مبالغة لتحكم بنفسك على حقيقتها . وبالرغم من ضيق الوقت وكثرة معالمها الجديرة بالزيارة — كما علمنا بعد — فقد أمكننا الالمام بالشيء الكثير عنها .

ففي صباح اليوم الثاني من شهر أغسطس سنة ١٩٤٧ تركنا منزل مايور سيزار كارلوس Colegio Mayor Cesar Carlos مقر سكن طلبة الجامعة بمدريد الذي نزلنا فيه مدة إقامتنا بهذه المدينة ، ويممنا نحو الجنوب شطر طليطلة وكان علينا أن نقطع سبعة وأربعين ميلاً لنصل إليها بعد ساعتين تقريباً .

فاخترقنا أحياء مدريد الحديثة وشوارعها المتسعة المنظمة على أحدث النظم ، وقد بلغ عرض بعضها — كالشارع الكبير Grand Via — نحو المائة متر ، في حين أن شارع فؤاد الأول بالقاهرة — الذي يعد من أعظم الشوارع عندنا — لا يصل عرضه الى ثلث هذا القدر .

سرنا في هذا الشارع الكبير في القسم الخصص لسيارات حتى أصبحنا على أبواب مدريد الجنوبية . فقلت المنازل المحيطة به وتناثرت (الفيلات) على جانبيه وتباعدت

المسافات بينها حتى تركنا مدريد وراءنا لمسافة طويلة . وتوسطنا هضبة المزيتا التي ترتفع عن سطح البحر أكثر من ألفي قدم .

سرنا في طريقنا المرصوف المتسع وسط حدائق الكروم والخروب وحقول الحبوب وغيرها ، وكانت تتراءى لنا من حين لآخر بعض الوديان والجبال بترابها الحمراء التي فتّتتها عوامل التعرية من الصخور التي تحتها . ثم ما لبثت هذه الجبال أن ازدادت بالقرب من طليطلة . وتحتل هذه المدينة نفسها منطقة مرتفعة من الصخور الجرانيتية التي استعملها السكان في بناء دورهم وقلاعهم .

عبرنا نهر التاجة الذي يمر بشمال المدينة فوق قنطرة تعرف بهذا الاسم ، يرجع بناؤها الى عهد العرب . وتهادت سيارتنا في سيرها مخترقة شوارع طليطلة حتى وصلت الى ميدان كبير يتوسط المدينة .

هبطنا منها مع رفقتنا الاسبانيين فرحين بمليشرين بزيارة بلد عربي في مظهره وإن اختلفت لغة ودين سكانه متحد في مبانيه وان اختلفت في طرزها من مكان لآخر .

في الشوارع العامة والميادين الكبيرة تجد المباني الشاهقة ، مقامة على بوائك ضخمة تعلوها دور السكن بشرفاتها وشرفياتها ، وتحت هذه البوائك محال التجارة والمقاهي . وتشبه هذه الشوارع في نظامها شارع محمد علي بالقاهرة وما ذلك إلا أثر معماري خالد من عهد العرب في العصور الوسطى انتقل معهم من الشرق .

بينما نجد في الأحياء الأخرى الشوارع الضيقة الملتوية المرصوفة بقطع كبيرة من الأحجار أقيم على جانبيها جدر دور مرتفعة ، قليلة الفتحات الخارجية (من نوافذ وشرفات) وان وجدت فتحجبها شرفيات من الخشب المخرط حتى لا يتيسر للمار رؤية من يحل منها من أهل الدور ، في حين أن هذه الفتحات كثيرة في الداخل ، وتفتح جميعها على أفنية داخلية كما في قرطبة وغرناطة . وهي المناطق العربية التي تركز فيها حكم العرب مدة قرون . ولا غرو فان طليطلة كانت تحت الحكم العربي زهاء الأربعة قرون ، استعرب خلالها ما تبقى من سكانها من اليهود والمسيحيين واتخذوا عادات العرب ولغتهم ، وانصهروا مع الفاتحين ، ونتج من هذا المزيج العديد حضارة ازدهرت في عهدهم ، لم تبلغ شأواً مثل ما بلغته في عهد العرب .

ولقد ترك العرب آثارهم في الأرض والسكان ما جعل الأسبانيا طابعاً خاصاً يميزها عن بقية البلاد الأوربية . ويظهر هذا الطابع بصورة واضحة بصفة خاصة في آثارها الرائعة بطليطلة . ولقد عهد بذلك الاسبانيون أنفسهم فيقولون : إن طليطلة مثل صادق للآثار التي تركها العرب في أسبانيا سواء في المباني أو في المرأة .

وجولة صغيرة خلال شوارعها تتيح لك الفرصة للتحقق من الجمال الفني والطبيعي وخاصة في النساء كما ترى في الشكل رقم (١)

فقد احتفظت المرأة الاسبانية بدقة التقاطيع العربية كالأنف الطويلة والعيون السود الواسعة والشعر الفاحم مع أنوثة فياضة وجاذبية ساحرة ، كما ورثت من العرب لون البشرة البيضاء المشوبة بحمرة خفيفة تزداد قليلاً إذا خجلت فتكسبها خفة ودلالاً عجباً — هذا إذا رأيتها في الشارع دون أن تكلمها أما اذا تجاذبت معها أطراف الحديث حدثتك عن فكر وفي حياء محتفظة بعاداتها وتقاليدها الشرقية ولا يتسع المجال الآن للكلام عن المرأة الاسبانية بإسهاب ، إذ أن هذا يطول شرحه وإنما أكتفي بهذا القدر الآن عن المرأة الاسبانية . لأنها أول ما يلفت نظرنا أثناء تجوالنا في شوارعها ونحن في طريقنا الى القصر أو الكزار . والكزار اسم عربي يطلق على قصور في مدن مختلفة بأسبانيا . ففي أشبيلية (الكزار) وفي طليطلة (الكزار) الذي نحن بصدده الآن .

سرنا نحو الكزار في طرق ضيقة ملتوية أخذت في الارتفاع تدريجياً الى مرتفع عال يعد أعلى بقاع طليطلة . ولما أشرفنا على هذه المنطقة هالنا أمر كنا لا نتوقعه إذ وجدنا أنفسنا بين خرائب وأطلال بقايا بناء ضخم تناثرت هنا وهناك ، كأنما قاومت القنابل الثقيلة بالتعاون مع مدافع الطائرات فقد دمرت بعض هذا البناء تدميراً . في حين صمد البعض الآخر ليشهد عدوان المغيرين .

ظننا أول الأمر أننا طارين منطقة خربة قديمة الى جهة أخرى لنصل الى الكزار فيما بعد . وبينما نحن في طريقنا إذ وجدنا أنفسنا أمام باب ضخم ، وطلب منا دخول الكزار لمشاهدة أروقته الباقية وآثاره الداخلية . فدهشنا من أمره وعلت وجوهنا حيرة ، وأخذنا نتساءل في لهفة عن حقيقة سر الكزار .

وأمام هذا الأثر الخالد أخذ زميلنا الاسباني (كاستيلو) يقص علينا قصته. واليك أمرها:

نشبت الحرب الأهلية في اسبانيا عام ١٩٣٦ بين الاسبانيين الملكيين والشيوعيين الحمر كما كانوا يسمونهم، وليس يخاف على أحد انتشار عدوى الشيوعية في البلاد وأثرها الخطير في التغلب على النظم القائمة حتى استطاعت التضليل بالرأي العام في اسبانيا في هذا العام، واشتعال نار الحرب ضد الملكية، ابتدأت الثورة في جامعة مدريد فتهدمت من آخرها، ثم انتقلت الى دور الحكومة فالقصر الملكي، وكاد الحمر ينجحون في حربهم لولا هرب الملكية وحاشيتها وحرسها الى الكزار وانتصابها، فحاصرها الشيوعيون نحو ٧٠ يوماً، لاقى خلالها المدافعون عن الكزار كل الويل حتى كادوا أن يسلموا في آخر لحظة من هول شدة قصف مدافع الأعداء عليهم حتى تهدَّم معظمه وخاصة طباقه العليا وسقفه وبعض جوانبه كما هو مبين بالشكل رقم (٢).

وقد نفدت كل المؤونة الهمَّ إلاَّ من بعض بقايا الحبوب وكسر الخبز التي لا تقيم أود المدافعين عنه كما نفد الغاز وكثر عدد الجرحى داخل الكزار وصار الأطباء يعالجونهم في ضوء الشموع كما بليت أسلحتهم الطبية. ومع ذلك فقد استخدموها حتى آخر رمق فيها لانقاذ ما يمكن انقاذه من الأرواح البريئة. أما الذين قتلوا فقد دفنوا في جناح خاص بالكزار بالدور الثاني. وقد بلغ عددهم ١٠٤ قتيل نقشت أسماؤهم على أحد جدران هذا الجناح أمام مقابرهم. وقبل نهاية الحصار أسرت جيوش الحمر ابن قائد الكزار المدافع عنه «الكولونل ماسكاردو» Mascardo وكان عمر ابنه سبعة عشر عاماً، واتصلوا بأبيه تليفونياً يهددونه بقتل ابنه في الحال إذا لم يسلم الكزار. واستطاع الابن الاتصال بأبيه تليفونياً يرجوه عدم التسليم، وأنه سيفضي بحياته في سبيل نصرتهم في النهاية. فلم يسلم الأب الكزار وقتل الابن وقد تمَّ لهم النصر أخيراً على يد الجنرال فرانكو الذي استطاع محاصرة الحمر من الخارج وهزيمتهم. وقد احتفظت الحكومة الاسبانية بهذه الذكرى الخالدة فسجلتها على لوحة تذكارية كتب عليها قصة التسليم وتهديد القائد وتضحية ابنه بتاريخ ٢٩/٧/١٩٣٦، ووضعت بين صورتيهما في حجرة القائد نفسه بالطابق الثالث من الكزار وتعمدت الحكومة الاسبانية عدم اصلاح الكزار بل احتفظت بحالته الراهنة للذكرى

شكل ١ — هروس بملابسها الوطنية

شكل ٢ — الكوار بعد الثورة

شكل ٣ — الكوار قبل الثورة

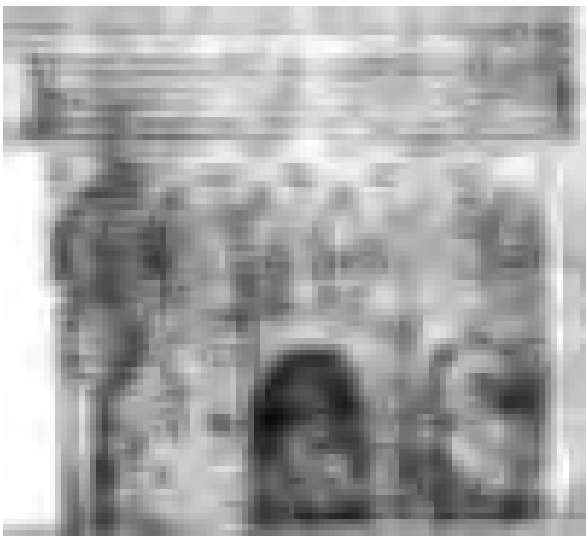

شكل ٤ — مسجد باب مردوم

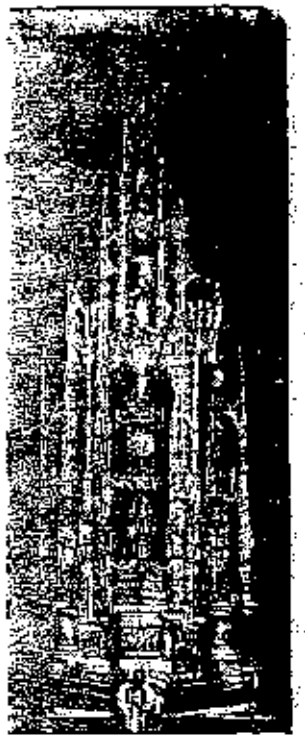

شكل ٦ — تحف من الذهب الخالص الذي اكتشفه كولمبوس في القرن الخامس عشر

شكل ٥ — كنيسة سانتا ماريا انبجناك

والموعظة للاجيال القادمة من الاسبانيين ورمزاً للوطنية وقوة العزيمة والتضحية في سبيل نصرة بلادهم ضد أي طغيان غاشم .

هذا هو الكزار بشكله الحالي بعد أن تهدّم معظمه . أما الكزار الأصلي فانه بناء مربع شاهق الارتفاع أقيم في كل ركن منه برج ، وله شرفات وبوائك في واجهاته ، كما هو مبين بالشكل رقم (٣) ويمكنك من مقارنة شكلي الكزار قبل وبعد الثورة أن تدرك ما حلّ به من الخراب والدمار .

* * *

طفنا بأرجاء الكزار لنتحقق مما وصل إليه من الداخل فاذا به في حال يرثى له ، فقد أعدّ الطابق الأول للطهي وحفظ الأسلحة ، بينما خصص جناح خاص بالطابق الثاني لدفن الموتى ، يقابله من الجهة الأخرى جناح آخر يتكوّن من دهليز طويل مقالم ينفذ اليه الضوء من فاقذة صغيرة في أعلا الجدار ، وقد مدت على أرضه قليل من الوسائد القديمة البالية تعاف الكلاب النوم عليها لرداءتها وقذارتها . وكان ينام عليها المرضى . وأمامها منضدة الطبيب (المشرحة) التي خصصت لاجراء العمليات الجراحية عليها ، وفي جانب آخر من هذا الكزار أقيم معرش صغير احتفظ فيه ما تبقى من مخلفات الأدوية وبعض الحبوب وكسر الخبز والأسلحة القليلة وقد احتفظ بالطابق الثالث آثار حجرة القائد ومكتبه وتليفونه الذي تلقى به التهديد ، أما باقي هذا الطابق فقد تهدّم ولم يبق منه الاّ بعض الجدران الداخلية .

بعد أن طفنا بأرجاء الكزار خرجنا ثانياً حيث قد قاربت الشمس من كبد السماء واشتدّ الحر وقلّت النفوس ، ولم يتقذنا إلاّ نتيات صغيرات تبدو عليهم سمحة من الجمال الريفي الاسباني ، وقد وقفن أمام الكزار في ملابس لطيفة ويرتدين نعالاً من القماش والقطن تشبه عندنا الأحذية (الكاوتشوك) وقد أمسكت كل منهن بجرّة من الفخار بها ماء تشبه الابريق ، يطلق عليها الاسبانيون كلمة (بطيخو) وينادين (أجوا . أجوا) ماء ... ماء فشربنا لقاء دريهمات قليلة .

هدنا ثانياً بجوب شوارع طليطلة الضيقة ، نستظل بجدرانها المرتفعة ، ماريين ببعض أبوابها العتيقة والقلاع الشاهقة التي ترجع الى العصور الوسطى ، حتى وصلنا الى صور ضخم

يحيط بالمدينة من الجهة الشمالية يشبه في علوّه وسعاته أسوار سلاح الذين رأيناها التي تصل بباب الفتوح والنصر في شمالي القاهرة.

يقع خارج هذا السور حديقة فسيحة تغلّوعها أشجار باسقة ورُكبت هذه الأشجار ومجوار كوخ صغير (بوفيه) جلسنا على كراسي وموائد أُعدّت لمن يقف لكل قادم. فتناولنا ما تيسر مما جلبناه معنا من الغذاء، واحتسينا القهوة وشرب البعض الآخر مشروبات مثلجة، وقطعنا شطراً من الوقت حتى استرحنا قليلاً، ثم عدنا ثانياً لمستأنف السير لزيارة باقي معالم طليطلة الغنية بها.

وقد كان بطليطلة عدد كبير من المساجد تهدّم معظمها ولم يبقَ منها الاّ عدد قليل تذكر لها الدهر وحولت الى معابد وكنائس بعد أن تغلب عليها المسيحيون في القرن الحادي عشر واتخذها الفونس السادس عاصمة له سنة ١٠٨٥.

من هذه الكنائس سانت توم التي كانت مسجداً ثم أُدخل عليه بعض التحويلات القوطية في القرن الرابع عشر لتحويله الى كنيسة.

وفي أحد شوارع طليطلة الضيقة التي لا تتسع لأكثر من مرور عربة واحدة بها، وقفنا أمام مسجد «باب مردوم» يحيط به فضاء غير متسع أوتقدم عنه الشارع بدرجتين. وقد كان هذا البناء مسجداً أقيم ليذكر فيه اسم الله عام ٩٦٠ م تدل على ذلك الكتابة الكوفية التي تعلو واجهته. ثم تحول الى كنيسة Ermita de la Cruz، أما الآن فهو أثر غير مستعمل احتفظت به للحكومة الاسبانية في عداد آثارها للذكرى والتاريخ.

وتنقسم واجهته ثلاثة أقسام أقنيسة يتكوّن القسم الأسفل منها من دعامتين بارزتين تقسمه ثلاثة عقود: أكبرها العقد الأوسط وهو عقد دائري، بينما العقد الأيمن على شكل حدوة الفرس، والأيسر مفصص. ويظهر أن هذا الخلاف بين العقود الثلاثة راجع الى ما تقاول الواجهة من الاصلاح. وقد بني ذلك القسم بالحجارة المذهبة والطوب الآجر في مداميك متناظمة.

أما القسم الأوسط فقد بني بالحجارة الغير مشذبة تبرز منها عقود متناظمة صماء على شكل حدوة الفرس مبنية بالطوب شأنها في ذلك شأن باقي عقود المسجد.

أما القسم العلوي فقد بني أيضاً من الطوب ويتكوّن من أشرطة ضيقة أقنية من الزخارف المعمارية، أهمها وأكثرها اتساعاً الشريط الأوسط، وقد بني من الطوب الذي استخدم في زخرفته على شكل معينات هندسية. ويملؤها شرائط من الكتابة الكوفية يبتدئ بالبسملة وينتهي بتاريخ البناء كما هو مبين بالشكل رقم (٥)

ويظهر أن العرب نقلوا فكرة استعمال الطوب في البناء والزخرفة من العباسيين بسامرا الى مصر في جامع أحمد بن طولون ، ثم الى شمال أفريقيا وأسبانيا .

دخلنا هذا المسجد فاذا نجد أنفسنا في ردهة مربعة تتوسطها أربع عمد ، مختلفة تيجانها يظهر أنها نقلت من كنائس قديمة . وتحمل هذه الأعمدة اثنتي عشر عقداً تقسم الردهة الى تسعة أروقة متساوية متطاة بقباب أكثرها ارتفاعاً القبة الوسطى . وتلتصق بكل قبة من الداخل عقود متقاطعة في أشكال هندسية مختلفة في كل واحدة عن الثانية . وهذه الأشكال إما نجمية متعددة الأضلاع أو مضيئات أو مربعات أو مستطيلات . وهذه تنقسم بدورها الى مثلثات وهكذا .

يلي هذا القسم مكان الصلاة وهو يرتفع عن الأول بثلاث درجات ويتصدره محراب على جانبيه صفان من الأعمدة الضم . ومما لفت نظرنا أن بعض الجدران زخرفت بالفريسكو على بعضها رسوم آدمية بيزنطية يظهر أنها من آثار الكنيسة القديمة التي تحول إليها المسجد فيما بعد .

وبالقرب من مسجد باب مردوم كنيسة سانت ماريا البيضاء Santa Maria La Blanca وهي مثل آخر للمساجد التي نالت من صروف الدهر ما لم ينله أي مسجد آخر ، فقد حوله اليهود في القرن ١٣ ، ١٤ الى معبد وغيروا ما كان به من الكتابة العربية الى عبرية . ثم استولى عليه المسيحيون وأسموه كنيسة عام ١٤٠٥ . ويقال أنه كان ملجأ للفساء ١٥٥٠ . ثم استولى عليه اليوايس وحولوه ثكنة . ثم الى اصطبل لخيولهم . وقد فطنت الحكومة الاسبانية إلى ذلك فأخلته وأصلحت بعض أجزاءه .

ويعد هذا المسجد مثل رائع لفن المدجرن الذي يعتبر حلقة اتصال بين الفن الشرقي والفن القوطي ، ويجمع هذا الفن بين صفات الفن العربي والروماني والفسيفوسائي القديم . فأخذ من الفن العربي استخدام الطوب في البناء والجص في الزخرفة ، كما استعمل الخزف والجدائل والتقسيم . والمسجد من الداخل روعة وجمال تأخذ بلب الناظر اليه . ويتكون من قاعة كبيرة بها خمسة صفوف من الأعمدة المثمنة ذات التيجان النخيلية من الجص المخرم المكون من ألسنة فروع نخيلية عجدولة ، تنتهي أطرافها بحلقات يتكون في مجموعها شكل بديع . وفوق كل صف من هذه الأعمدة ستة عقود على شكل حدوة الفرس مغطاة بطبقة ناصعة البياض من الجص . ويرجح أنه سمي لهذا السبب باسم « سانتا ماريا البيضاء » . وفوق هذه العقود صف آخر من العقود المفصصة لمزيد من ارتفاع السقف كما هو مبين بالشكل رقم (٥)

ويتكوّن الباب الخارجي من دعوات خشبية تشبه الأبواب الأيوبية بمصر

وقد حرص الاسبان على ألاّ تفوتنا فرصة زيارة كتدرائية طليطلة . وفي طريقنا إليها عرجنا على متحف الجريكو Casa del Greco ويعد هذا المتحف من أعظم المتاحف الفنية لما يوجد فيه من روائع رسوم الفنان الاسباني جريكو الذي يعد من أعظم مصوّري معالم هذه المدينة. فقد استطاع أن يسجل بريشته جميع الحضارات التي خلفت آثارها في طليطلة . حتى ليقال ان طليطلة تعد عاصمة للفنون في اسبانيا ليس لكثرة ما بها من الآثار والكنوز وإنما لوجود رسوم الجريكو بها . وأخيراً وصلنا الى كاتدرائية طليطلة التي ابتدئ في بنائها ١٢٢٧ على الطراز القوطي ونظراً لانها لم تتم إلاّ في القرن ١٥ فقد نجد بها بعض التأثيرات الباروك وعصر النهضة . ويبلغ طولها من الداخل ٣٩٥ وعرضها ١٧٨ وهي مقسمة خمسة أروقة وتحيط بالزخارف والنوافذ الزجاجية الملونة .

وتحتفظ الكاتدرائية بكثير من الكنوز والكتب الفنية والأعمال الرائعة لأشهر الرسامين الاسبانيين أمثال جويا وجريكو وتيتيان ، وغيرهم كما تحتفظ بكثير من الكنوز المهداة إليها وأهمها تحفة رائعة من قطعة من الذهب الخالص التي اكتشفه كولمبوس في أمريكا ، وزنها ١٦ كيلو جرام صنعت في شكل بديع يمثل المسيح . شكل رقم (٦)

أوشكت الشمس على المغيب حينما عدنا الى الميدان الرئيسي الذي تركنا فيه سيارتنا بعد قضاء يوم حافل بالآثار التي تشهد بحق على ما كانت عليه طليطلة من عزّ وحضارة . وقد شهد بذلك المستشرق الاسباني جايجنوس حين قال: «لقد سطعت في اسبانيا أول أشعة لمنح المدينة التي نشرت ضوءها فيما بعد على جميع الأمم النصرانية . وفي مدارس قرطبة وطليطلة جمعت الجذوات الأخيرة لعلوم اليونانية بعد أن أشرفت على الانطفاء وحفظت بعناية . والى حكمة العرب وذكائهم يرجع الفضل في كثير من أهم المخترعات الحديثة وأنفعها» . وقد نبغت طليطلة في صناعة الأسلحة ولا تزال شهرتها الى اليوم في أنواع صغيرة كفئت بالذهب والمينا ، تعرض للبيع للزائرين وهواة جمع التحف مما دعا بعضنا للتسابق لشراء ما تيسر من المجوهرات وقطعات أورق وغيرها من التحف التي لها طابع خاص قلما يوجد في أي بلد آخر من بلدان العالم . ثم احتللنا مقاعدنا في سيارتنا وعدنا الى مدريد قرحين بهذه الزيارة الكريمة .

محمد رجب البيومي
دبلوم في الآثار الاسلامية

ذكرى يوهان ليندهارد

للميجر كراج : السويدي
سكرتير اتحاد تمرينات لنج

ترجمة أبي سلمى

ترجمة حياته

في الحادي عشر من شهر اكتوبر ١٩٤٧ توفي الاستاذ ليند هارد عن ٧٧ سنة ، وكان حتى نهاية حياته معروفاً بنشاطه في عالم التمرينات. وفي آخر شهر مايو المنصرم كتب موضوعاً عن التمرينات الحديثة في مجلة الاتحاد الدولي لتمرينات « لينغ » وفي هذا الجو الخالي تعرّض لصدمات صحية كبيرة تغلب عليها بتاريخه المشهور في التمرينات . في السنين الأولى من حياته انتحى نواحٍ مختلفة في سلوكه . وبعد مضي عدّة سنوات في عمله بالكلية انضمّ الى مدرسة « اسكوف العليا » ونال شهادتها الأولى في سن الثامنة عشرة . وكانت خدمته الأولى في سلاح المدفعية اذ خدم ضابطاً احتياطيًّا لمدّة سنة . وفي هذه الأثناء تطوّرت ميوله الى الناحية العلاجية ، واجتاز الامتحانات الخاصة في العلوم عام ١٨٩٣ . وكذلك امتحاناته النهائية عام ١٨٩٨ . وفي الأعوام التالية قام بخدمة التمرين الطبي كطبيب وفتح روحه النشطة الى تحمل كثير من المسئوليات حتى سنة ١٩٠٨ حيث عاد الى بلده بعد مضي سنتين أمضاهما متجولاً في الدانمارك وشرق جرينلاند

وقد ابتدأ بالعمل في البحوث الفيزيولوجية حيث انتمى الى هذا حتى عمله في حياته .

وكان نشاطه في السنة التالية منصبًّا على فيزيولوجية التنفس والدورة الدموية وساعده في ذلك الأستاذان . هازبل بالخ — A. K. Haaselbalch وكروغ — A. Krogh وابتدأ احتكاك ليند هارد بالتمرينات سنة ١٩٠٩ حين عيّن مدرساً للتشريح ولنظريات التمرينات لجامعة (كوبنهاجن) وعلاقة ذلك بالناحية العملية كموضوع هام في امتحانات الفلسفة . وكان نشاطه العلمي في هذا الميدان الجديد قد جعله مكتشفاً يضع سلوكاً تقليديًّا عالميًّا كخبير في

نظريات التمرينات . وعقب انتهائه من امتحانات الدكتوراه في الطب عام ١٩١٤ عين محاضراً جامعيًّا سنة ١٩١٦ . وفي سنة ١٩١٧ عين أستاذاً في نظريات التمرينات في الجامعة . وفي سنة ١٩٢٠ عين مديراً لمعمل التمرينات النظرية في (كوبنهاجن) ومكنه هذا المركز من زيادة الاحتمالات للبحث في التجارب الفيزيولوجية . وتمكن بماله من مجهودات في التمرينات العملية من اكتساب مركز عميد مقاطعة للتمرينات الداغاركية في معهد كوبنهاجن . ومكث به من عام ١٩٣٠ الى سنة ١٩٣٨ . وكان في سنة ١٩٢٥ عضواً في الجمعية الملكية العلمية الداغاركية . وفي سنة ١٩٢٩ كان ضمن المؤلفين العالميين المعروفين (في العمل الفيزيولوجي — Arbeitsphysiologie) . وفي الخامسة عشرة من حياته كان تفكيره العملي منصبًّا على العمل العضلي . ومن هنا جاءت معظم الموضوعات العالمية في هذه الناحية . وفي سنة ١٩١٤ طبع عمله في التمرينات وهو الأول من نوعه الذي أثار أهمية أكثر مما يتصوَّر في كتابه المعروف « التمرينات الخاصة » (وقد أعيد طبعه سنة ١٩١٨ وفي سنة ١٩٢٧ . وترجم الانكليزية سنة ١٩٢٩ والى الاسبانية سنة ١٩٤٥) وفيها كتب نقداً لاذعاً لتمرينات (لينغ)، حيث كانت تؤدى في المناطق الشمالية في بدء القرن العشرين . وقد هاجم (ليند هارد) طريقة لينغ وبصورة خاصة المساة بالتمرينات الاستعراضية ، كانت قيمة هذا العمل منحصرة في ازدياد الاهتمام بالتمرينات . ومن هنا أوجد الصلة بين نظريات التمرينات وعلم وظائف الاعضاء العملي . وفي عرضه لذلك تمكن من إيجاد اتحاد بين أساتذة الفيزيولوجية ومدرسي التمرينات التربوية . وكان لهذا فضل في اكتساب ذكرى دولية لمؤسس لنظريات التمرينات وطبعه كتباً بعد ذلك توفر لديه عدد من المعارضين والأخص من السويديين . وفي كتبه الحديثة التي تمتاز بالتمرينات العلاجية السويدية التي قال فيها من قيمة عمل لينغ في تمريناته العلاجية في المعهد المركزي للتمرينات، ولكنه تحوَّل أيضاً الى مهاجمة أصحاب لينغ (ليدبك Lidbeck وجورجي — Georgi وهيلمار لينغ — Hjalmar Ling) وقد تعرَّض أيضاً براتينج — Brantinge الى النقد اللاذع الذي أدَّى الى قيام معارضة في وجه ليند هارد . ومن هذه الناحية تدخل في نواحي متعددة في تاريخ التمرينات حيث استعرض في أعماله أعمال الدكتور وستربلد Dr. C. A. Westerblad الذي تمكن بعد

دراسته أعواماً من نيل شهادات أكبر من دين Dane وليندهارد. وهذه الكتب كأعمال ليند هارد جميعها مكتوبة باختيار دقيق في الكلمات وبعرض سليم ونقد صريح صادق وحتى ان أي قارىء خال من أية فكرة عن تقاليد لينغ يجد في كلام ليند هارد مهاجمة لطريقة لينغ

حتى اذا ما تمكن ليند هارد من جمع أعماله في كتاب متواضع وكذلك عمله بالتمرينات وفي طريقة التربوية ونظرياته نجد أنه تجاوز حدود الفلسفة الفيزيولوجية الى اتخاذ طريقة لينغ بعد تصحيحها وفي خلال حصوله على تأييد من مصادر معروفة مهمة لكي يقوم بتمريناته الواسعة، وبنفس الوقت خلال وجوده مؤيداً باستاذيته العالمية في التمرينات الرياضية الفيزيولوجية قد حصل على منزلة رفيعة جعلته يهب مراعيه الفريدة للسيادين التي احتاجت الى دراسة نقدية ومساعدة البحوث السيكولوجية التي ارتكت وتحسنت في بداية القرن العشرين. ولذلك فان موته يعتبر ضربة أليمة للتمرينات البدنية إذ أنه من المؤسف ان أيامه الأخيرة كانت تحاط بسحب من النزع القاسي.

* * *

ولقد كتب ليندهارد محاضرة وحديثاً في نهاية يونيو سنة ١٩٤٧ وفيها بين سلوكه تجاه أصحاب تمرينات لينغ في السويد. وهذه المحاضرة لا تنفي رأيه تماماً بما ذكرنا سابقاً. بل يوضح فيها أنه يعارض لينغ في مادة التمرينات العلاجية. ولا يمكنه بأي يقلل من عظمة لينغ من حيث التكوين الجثماني. ويعترف أيضاً في محاضرته أن هيلمار لينغ أحدث تقدماً في بحث تاريخ التمرينات بالاشارة الى جدول التمرينات التي أعطت نظاماً في كمية المجهود الذي عارضه بشدة وان ورثة لينغ بعد موته أقروا أبحاث لينغ كما هي دون تقدم، وحتى في محاولة تحسينها بدراسة التوازن الخاصة بنظم الجسم ومحاولة ربط التمرينات بها. وكان ضمن من هاجمهم برانتينغ Branting عميد المعهد المركزي للتمرينات والذي نظم هذه العلاقات.

وأخيراً يقرر ليند هارد أن هناك فترة مرّت به حتى وصل الى نظرياته من تمرينات لينغ لأنه بدأ يدرك أخيراً وبالتدريج أن الأخطاء التي حدثت نتيجة لأعمال لينغ في التمرينات لا يمكن أن تؤخذ عليه في القرن العشرين.

صيد الاسفنج

في خليج المكسيك

لم يُعرف بعد على وجه التحقيق متى بدأت صناعة صيد الاسفنج في خليج المكسيك بأميركا الشمالية ، بيد أنه كانت هناك حوالي سنة ١٨٧٠ ميلادية قوارب تحوس خلال الخليج في كلٍّ منها رجلان أحدهما يجذف والآخر يقوم بمهمة التحديق في داخل قاعه من زجاج يضعه على سطح الماء حتى اذا لمح شيئاً من الاسفنج بادر بتدلية عصاً طويلة مثبَّت في طرفها خطّاف تصل الى حيث الاسفنج موجود فيجتذبه بها .

وما أن حانت سنة ١٨٩٠ ميلادية حتى فكر المدعو « جون شيبي جديًّا في هذه الثروة المائية وأخذ في ارسال القوارب زرافات بالقرب من شاطئ « فلوريدا » الغربي لصيده بنفس الطريقة وداب على العمل فازدهرت هذه الصناعة ونمت ومن ثمَّ تأسست بورصة الاسفنج لتنظيم تجارته وارتفعت أثمانه لغلاء أسفنج البحر الأبيض المتوسط .

ولما وثق « جون شيبي » المذكور من وجود الاسفنج بهذا الخليج بكميات وافرة حيث يمتد نحو خمسين ميلاً من الشاطئ آثر صيده بطريقة الغوص في الماء فتطارو مع المستر « جون كوريكوير » في الأمر . وهو أول يوناني قام في « فلوريدا » فأشار عليه الأخير باستدعاء نفر من غواصي جزر بحر إيجيه ببلاد اليونان فحسن ذلك الرأي لديه وصمم العزم على تنفيذ الفكرة وكان ذلك في سنة ١٩٠٥ . فأرسل اليوناني واستدعى ثلاثة من النفر أمين فجاءوا بعائلاتهم الى « فلوريدا » وأقاموا في مدينة « تاريون سبرنجس » على خليج المكسيك وشرعوا في العمل توًّا .

واليوناني بطبعه شغوف بركوب البحر الذي يرى فيه أسباب معيشته كما يرى فيه أيضاً ميداناً للبطولة ورمزاً للفتوة وإليه يرجع الكثير من معتقده الديني

وهنا بدأت نهضة جديدة لهذه الصناعة . ومع مرور الزمن اجتذب هؤلاء اليونان إخوانهم في الهجرة من جزر اليونان فأقبل هؤلاء أيضاً بقضهم وقضيضهم وأقاموا بتلك المدينة وكوّنوا مستعمرة يونانية حتى بلغ عددهم ثلاثة آلاف وعاشوا هناك محتفظين بكل مظاهر قوميتهم وعاداتهم من لغة ومأكل وملبس وعبادة وغير ، ذلك ولهم كنيستهم على اسم القديس نقولا فضلاً من الصلاة العائلية التي تقام في كل منزل لأن حياة اليوناني وثيقة الصلة بعقيدته الدينية .

وتعمل سفن الغوص في مياه يتفاوت عمقها من ثلاثين الى مئة قدم . وتقوم السفينة في الموسم الواحد برحلتين طويلتين تعود في نهاية كل منها الى الشاطئ لتفريغ ما التقط من استنج ولأخذ ما تحتاج إليه من مؤونة وغيرها .

والغوّاص شغف عظيم بمهنته . ومن مأثور القول عندهم « أن من مارس الغوص عامين ظلّ غواصاً طول حياته » — ويستطيع من بلغ السادسة عشرة من العمر البدء بالغوص حتى يجاوز الستين قليلاً ثم يعتزل العمل .

ويطول موسم العمل في الخليج بسفن الغوص الى تسعة شهور سنوياً يصرف منها الغوّاص نحو شهرين تحت الماء متنقلاً بقدميه في قاع الخليج وهو في شبه ظلمة .

وجهاز الغوص هو عبارة عن ثوب من القماش المزدوج العازل للماء ومبطن بطبقة من المطاط (الكاوتشوك) فيلبسه الغوّاص ويُحكم ربطه حول معصميه بالمطاط أيضاً . ثم يُغطي الرأس بكرة من المعدن تُثبّت بمسامير محكمة ، وبهذه الكرة طاقتان من الزجاج السميك ينظر الغوّاص من خلالهما ما حوله وفي أعلى الكرة أنبوب طويل يتصل بالسفينة لامداده بالهواء اللازم — وجهاز على ما وصفنا ليس بالشيء الخفيف الذي يتسنى للابسه التحرك به بسهولة ويُيسر فهو يزن نحواً من ١٨٨ رطلاً .

فمتى حان وقت الغوص يقوم زملاء الغوّاص بمعاونته على لبسه ثم ينحدر فوق كتفيه أثقالاً من الحديد ويهبط رويداً رويداً حتى يستقر بقدميه في قاع الخليج وهناك يشعر بضغط الماء . وكلما احتاج الى هواء جديد أمال رأسه الى الوراء فيضغط على زرّ بداخل الكرة المعدنية فينسرب الهواء الى داخلها بواسطة الأنبوب بالقدر المطلوب .

ويرى الغوّاص المرئيات حوله ملوّنة بلون أخضر أو أزرق داكن يسترعي النظر . وهو لا يسمع لوقع قدميه على الأرض صوتاً بالرغم من ان حذاءيه يزنان ٣٥ رطلاً . وفي هذا الكون الرهيب يدل الغوّاص جاداً في طلب الأسفنج . وقد يسير ميلاً دون أن يعثر على أسفنجة تستحق الصيد . لأن القانون يقضي بمنع صيد الأسفنج الصغير الذي يقل محيط الواحدة منها عن خمس بوصات — وأحسن الأسفنج ما بلغ محيط الواحدة منها ١٦ الى ١٨ بوصة .

* * *

ويتكوّن الأسفنج من حيوان صغير وينمو نموّاً بطيئاً جداً في الشهور الأولى ثم يزداد اتساع محيط الأسفنجة بمقدار بوصة شهرياً . ويقتضي ان يبلغ مدى نظر الغوّاص في الماء ست أقدام على الأقل، غير انه يستطيع في الأيام المشرقة الرؤية الى مسافة تتفاوت ما بين ٣٠ الى ٥٠ قدماً ويمكنه أحياناً رؤية قاع سفينته التي تعلوه مائة قدم إذا كان الماء أيضاً صافياً

ويتعرّف رفقاؤه الذين في السفينة على مكانه برؤية فقاقيع الهواء المتصاعدة منه ، فتلمحه الى حيث يتجه . ويحمل الغوّاص بيده كيساً من الشبك وبالأخرى خطّافاً ثقيلاً ذا ثلاث شعب يجذب به الأسفنج المتشبّث بالصخور ويضعه داخل الكيس حتى اذا امتلأ أشار الى رفقائه بالسفينة فيرفعونه ويدلون له بغيره وهكذا . واذا حصلت سفينة ما على نحو ١٥٠ الى ١٨٠ قطعة منه عدّ ذلك فوزاً .

وناهيك بمحاسن الطبيعة ومفاتن البحر . فهنالك ممكن سابحة تحدّق الغوّاص بعينين مجلاوين وكأنها تقول له من أنت وما شأنك وكيف أصبحت الخدور وما دا تبتغي من وراء مجوالتك . وثمة نوع آخر من السمك يعترض سبيل الغوّاص الى غير ذلك من مختلف حيوانات الماء .

ويلج الغوّاص أحياناً شبه مغاور مظلمة يتمّ ظاهرها على التداعي والانهيار غير إنها صلبة لا تقوى على النيل منها المعاول ، أما تكوينات المرجان خدّث عنها ولا حرج . فهي أشجار منظومة في جبين الصخر . وأينما سرّحت الطرف ترى الجمال مجسماً وشتّته يد

الطبيعة خلواً من زيف أو صناعة — نباتاته وعاد وعقاب وأحراج وبساتين على مثال ما يُرى على سطح الأرض . والماء المحيط بكل ذلك هو بمثابة الغيم أو الضباب يغشى كل هذه المرئيات فيكسبها روعة وجلالاً . وفي ناحية أخرى جبل شامخ لم يحاول تسلقه أحد ولم تطأه قدما انسان ، ولم تعصف به قط ريح . هو بكرٌ بين الجبال ممتنع كجبهة الأسد له سحر يلعب بالألباب ويأخذ بمجامع القلوب . تراه وكأنه يتحرك ويموج غير أنه ثابت الأركان وطيد البنيان .

كل هذا لا يشغل الغوّاص عن أداء مهمته ، أو يلهيه عن خطورة موقفه ، فإن عينه لا تفتأ تجوس خلال الصخور والآكام باحثة عن الاسفنج الذي هو هدفه الوحيد وضالته المنشودة ، والذي يرى وكأنه وسائد من المطاط داكنة اللون لزجة الملمس عالقة بالصخر .

واذا شاء الغوّاص تسلق بعض المرتفعات فتح صمام الهواء الذي بداخل كرة الرأس برهة فيتسرب جانب من الهواء الى الداخل فيخف وزنه ويطفو قليلاً وهذا مما يساعد على ارتقاء المرتفعات .

وثمة خطر يتعرّض له الغوّاص وهو في عمق الماء ذلك هو القرش أو كلب البحر فهذا الحيوان يشم رائحة الدم فينجذب اليه . ولذا فإن قانون الغوص يقضي على الغوّاص لدى رؤيته لهذا الحيوان اخفاء يديه الجاريتين تحت ابطيه حالاً ، وأن يهم بالصعود ولكن ببطء خشية انقضاضه عليه اذا بدت منه علائم الخوف . وعلى أثر صعوده الى السفينة يبادر رفقاؤه برفع الأثقال عن كاهله ونزع جهاز الغوص عنه تدريجياً لأن جسمه يكون مغموراً بالعرق اذا كان الفصل صيفاً . وقد تبدو عليه علائم الاعياء الشديد . ثم يستبدل ملابسه المبللة بغيرها . وكثيراً ما يخرج من مألوف عادته على أثر صعوده من الماء فيوجه الى زملائه سيلاً من التعنيف الشديد لسبب قد يكون تافهاً غير أن أحداً منهم لا يجرؤ أن يجيبه بكلمة لعلمهم بما هو مستهدف له من المخاطر في كل لحظة . ولكنه لا يلبث أن يستجمع شعوره ويثوب الى رشده .

وكثيراً ما يصاب الغوّاص بشبه كساح أو شلل وقتي اذا لم يتح له الوقت الكافي لراحة بين فترات الغوص ولصعوده من الماء بسرعة كبيرة .

وكلما صعد غوّاص من الماء نزل آخر مستخدماً نفس جهاز الغوص . ويستطيع الغوّاص النزول الى جوف الماء من ثلاث الى ست مرات في اليوم الواحد تبعاً لحالة الطقس وعمق المياه . أما مدة مكثه فتتفاوت من بضع دقائق الى نصف ساعة أو أكثر .

ومحظور على الغواص تناول أي طعام أو ماء طول نهار العمل الا مقادير من القهوة المركزة . فاذا انتهى يوم العمل وأعدّ له الطعام تهافت عليه تهافت الجياع على القصاع .

ومتى انتهى اليوم وآذنت الشمس بالمغيب انصرف الجميع الى اللهو والطرب على أصوات النموع التي تتجاوب مع لمعان الكواكب . وأدير الراديو لسماع الموسيقى والأخبار وتمسي السفينة وكأنها جزيرة صغيرة تسبح بمختلف الأصوات وتترنح بالأغاني والأهازيج حتى اذا قضوا جانباً من الليل انصرفوا الى النوم بعد أداء فرض الصلاة الجامعة .

والغوّاص هو الشخص الممتاز بين رجال السفينة نظراً الى نوع عمله وخطورته .

* * *

أما الاسفنج المستخرج الذي يكون منلفاً بطبقة هلامية كالطلاء فيوضع أكواماً ويغطى بقماش كثيف ويترك زمناً لينضج على حد تعبيرهم . وبعد أن يجف يشقق هذا الغلاف ويتساقط بعضه . ثم يستعينون على نزع الباقي بعدى قصيرة . وبعد ذلك يوضع في أوان بها ماء وملح ويعالج حتى يتنقى من المواد الغريبة وينظم عقوداً في خيوط ويعلق في الهواء ليجف ويزداد نقاوة .

وبعد ذلك يرسل الى مورسة الاسفنج التي تنعقد مرتين في الأسبوع لبيعه . وصيد كل سفينة يوزّع ثمنه على رجالها حصصاً متفقاً عليها . فللغوّاص أربعة أنصبة ونصيبان لكل من سائر العمال . أما الربان فله نصيب أوفر .

وللاسفنج درجات متباينة تبعاً للنعومة والمتانة ومقاومة الضغط وقوة الامتصاص للماء واللون وبعض ميزات أخرى

أمين عبره
موظف بوزارة الزراعة سابقاً

من الانجليزية بتصرف

وصف العاصفة

عند امرىء القيس وعند فرجيل

لقد نسلم جميعاً اليوم بأنه لا بدَّ لنا في درسنا الأدب العربي من المقارنة بين هذا الأدب وآداب أخرى إذا ما شئنا أن نتبين قيمته الانسانية ومكانته في العالم. إلاَّ أننا بسنا بغافلين عن أن هذه المقارنة لا تجوز بين أدبنا وبين الآداب الغربية الحديثة، وإنما الرأي في الأمر أن تكون هذه المقارنة بينه وبين الآداب العالمية القديمة ولا سيما الآداب اليونانية واللاتينية لسعة انتشارها في العالم المتمدن. ولقد وفر لها هذا الانتشار الواسع، الجانب القوي من الروعة والفن الذي انتهيا اليه في تصويرها عن العواطف الانسانية وتصويرها لها حتى أن أمم الغرب جميعاً اتخذتهما كمثل أعلى تقيس الى آثارها كل أثر كتابي أو شفهي خُصَّ الشهرة الأدبية والخلود.

ولقد نتعثر في أثناء تطبيقنا هذه الفكرة عملياً واتخاذنا آثارنا الأدبية أثراً أثراً ومقارنتنا اياها مع بعض ما خلف لنا اليونان أو اللاتين من تراث أدبي. أن أدبنا العربي القديم هذا، الذي يظنه البعض بعيداً عنا، غريباً عن حياتنا، يلائم كل الملائمة تلك الحياة التي نعيشها في عصرنا العشرين، إذ أن هذا الأدب في كثير من مقطوعاته، لم يقصر دون الآداب الغربية القديمة في تصويره عن العواطف التي قد تشغل صدر كل انسان في أثناء وجوده في مواقف ومشاهد ممتازة يعدها من ذرى حياته العاطفية الوجدانية رقيها.

وبين الآثار العربية القديمة التي نراها جديرة بمثل هذه المقارنة، مقطوعة لامرىء القيس يذكرها لنا الرواة في آخر معلقته وتتناقلها كتب الأدب بالعنوان « وصف البرق والمطر والغيث ». ونحن نوردها هنا، معتمدين على نسخة « أهلوارد »[1] التي نراها أصح من

(1) Paris 1913 — W. Ahlwardt — "The Divans of the six ancient Arabic Poets"

ص ١٥٠

غيرها من حيث البحث العلمي ، وهي في الوقت نفسه ، أشد ملاءمة من سواها لنظر والعاصفة بمقتضى العوامل الطبيعية .

أصاح تَرَى بَرقاً أُريكَ وَمِيضَهُ ... كَلَمعِ اليَدَينِ في مُهَنَّدٍ مُفَوَّرِ
يُضِيءُ سَناهُ ، أو مَصابيحُ راهِبٍ ... أمالَ السَليطَ بالذُبالِ المُفَتَّلِ
فَبِتُّ لَهُ وَصُحبَتي بَينَ ضارِجٍ ... وَبَينَ العُذَيبِ ، بَعدَ ما مُتَأَمَّلِ
عَلا قِطناً ، بالشَيمِ أَيمَنُ صَوبِهِ ... وَأَيسَرُهُ عَلى الِاستارِ فَيذبُلِ
فَأَضحى يَسُحُّ الماءَ حَولَ كَتيفَةٍ ... يَكُبُّ عَلى الأَذقانِ دَوحَ الكَنهَبَلِ
وَمَرَّ عَلى القَنّانِ مِن نَفَيانِهِ ... فَأَنزَلَ مِنهُ العِصمَ مِن كُلِّ مَنزِلِ
وَتيماءَ لَم يَترُكْ بِها جِذعَ نَخلَةٍ ... وَلا أُطُماً إِلّا مَشيداً بِجَندَلِ
كَأَنَّ ثَبيراً في عَرانينِ وَبلِهِ ... كَبيرُ أُناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ
كَأَنَّ ذُرى رَأسِ المُجَيمِرِ غُدوَةً ... مِنَ السَيلِ وَالأَغثاءُ فُلكَةُ مُغزَلِ
وَأَلقى بِصَحراءِ الغَبيطِ بَعاعَهُ ... نُزولَ اليَماني ذي العِيالِ المُحَمَّلِ
كَأَنَّ مَكاكِيَّ الجِواءِ غُدَيَّةً ... صُبِحنَ صُلافاً مِن رَحيقٍ مُفَلفَلِ
كَأَنَّ السِباعَ فيهِ غَرقى عَشِيَّةً ... بِأَرجائِهِ القُصوى أَنابيشُ عُنصُلِ

هذا ونحن نرتضي بهذه القطعة على النحو الذي نقلها به لنا الرواة — إلاّ أننا ظننا من حسن الرأي والذوق الأدبي أن نوردها ونحللها كوصف « عاصفة في مرتفعات نجد »[1] لا يخلع هذا العنوان من الوحدة التأليفية على أبياتنا ، تبدو هكذا هذه الأبيات محكمة التآلف بعضها مع بعض وتزداد بذلك روعة وفنًّا .

ثم قد يجد بعضهم في صعوبة الألفاظ وبعدها عن المألوف المأنوس ، وفي غرابة بعض التراكيب ، عائقاً دون تذوُّق هذه القطعة تذوُّقاً تامًّا — إلاّ أن هناك وفرة كتب الأدب التي تشرح جميعها أبياتنا هذه شرحاً مستوفياً — فنقيض لهم أن يتجاوزوا هذا المانع

(١) وقد سبق الى هذه الفكرة المستشرق الانجليزي « شارلس لايل : Charles Lyall في كتابه Translations of Ancient Arabia Poetry — (لندن) ١٩٣٠ — ص ١٠٣ — ١٠٦ . وتبعه فيها مواطناه « نيكلسون » و « جب » في كتابيهما في الأدب العربي .

الخارجي الشكلي الى عالم من الخيال لم يكن لهم عهد به من قبل ، إذ أنهم يدخلون في نفس الشاعر ويشاركونه عواطفه وشعوره ، ويتسيطون لصوره البكر ويستمتعون طرباً لهذه « الموسيقى الداخلية » التي يتدبر بها الفن العربي ، تطوّر انفعالات عاطفته إزاء انقلابات العاصفة ومراحلها .

فما رأيك من حيث التصوير بوصف وميض البرق في جوانب السحاب بحركة اليدين في سرعتها وخفتها أو بمجيء لهيب السراج بعد ان يتدلع إذ يمثّل الراهب الفتيل ليتشرّب الزيت. وما قولك بتلك صورة المكاكي وسفيرها وبها يكني الشاعر عن انقطاع المطر وسرح الطبيعة أثر ذلك . وأريدك وانياً الى الروعة الفنية التي يولدها امرؤ القيس في نفس القارىء أو السامع من أنه يجعل هذه الصورة الخفيفة الى جانب صورة قوية صاخبة تمثل ضخامة العوامل الطبيعية وبطشها في أثناء العاصفة . ولذلك نرى ان الشعر العاشر هو قمة متطوعتنا من الناحية التصويرية — ... وهو الى ذلك قمتها من ناحية الموسيقى الداخلية . وما لك لكي توافقنا على ذلك إلاّ أن ترجع الى قراءة الأبيات من الشعر الثالث وتضخم الصوت شيئاً فشيئاً حتى تنتهي الى البيت العاشر الآنف الذكر فتعطي لحروف مدود هذا البيت من « قاف » « وساد » « ونين » « وطاء » « وعين » حقها من حيث القيمة الصوتية فتمثل بذلك لسمعك خير تمثيل دوي العاصفة المقبلة نحوك ، ثم انفجار السحابة والقاءها ثقلها من المطر . ثم قف بعد ذلك لحظة تكل بعدها الى ذوقك الفني ، وانتقل بصدقة الى البيت الحادي عشر : ألا تشعر بنفسك حينئذ خارجاً من موجة موسيقية أولى ، موجة العنف والشدة والانقباض ، ومدفوعاً بموجة موسيقية أخرى ، موجة الانشراح والانبساط تحملك من غير وعي منك وتدخلك في حركتها الليّنة الرشيقة ، فيجعلك كل ذلك تدرك حسّياً بشعلك المادي والروحي ، روح الطبيعة بعد انقطاع المطر وزوال العاصفة ؟

وهناك مزايا أخرى لا تقف عندها ، بل نتركها لذوق القارىء إذ أن غايتنا هنا ليست درس متطوعتنا بحدّ ذاتها وتحليلها تحليلاً أدبيّاً دقيقاً ، وإنما ألمحنا الى بعض مواطن الفن والجمال فيها محاولة منا أن نساعد القارىء على مقارنتها مع متطوعة لاتينية في وصف العاصفة أيضاً . وقد أخذنا هذه المتطوعة عن « فرجيل » أحد شعراء اللاتين العظام .

ولربما كان أعظمهم ، وهي منتزعة من مؤلفه المشهور « القرويات » Georgiques

يفتتح « فرجيل » الباب الأول من « قروياته » بالدعاء « لميسنار » الذي أسدى إليه ، واتخذه في كنفه ، ثم يطلب من الآلهة ، ولا سيما الحقلية منها ، أن تعضده في عمله الأدبي ثم يتغنى بحياة الحقل والقرى وأعمالها وأشغالها من حراثة وزرع ، ولا بد لكل ذلك من تعب وجهد وعناء — فيدفع ذكر هذا شاعرنا الى الحديث عن العنصر الذهبي ومساعدة الانسان إذ ذاك ، ثم ينتقل الى الكلام عن أدوات الفلاحة التي يستخدمها الفلاح ، ثم عن دلائل خصب التربة وعن خزن البذر وإعداده ، ثم عن الزمن الصالح للزراعة . ثم عن أمور تربية الدواجن ، وعما يجمل بالقروي أن ينصرف إليه من عمل في الصيف وفي الشتاء . وهكذا ينتهي به الأمر الى كيفية تدبير الوقت في الخريف والربيع أيام تناجي العاصفة الحوافر والقرى ، فيقول :

ما عسى أن أقول عن عواصف الخريف وأنوائه .
وعما ينبغي ، إذ يقصر النهار ويخف الحر ،
أن يكون المرء حريصاً عليه . أو [1] عند ما يقبل الربيع المطير ،
وتكون المقرل قد استوى فيها زرعها على سوقه ،
وتكون الحبوب الحليبية في السنبلة الخضراء قد همت .
كم من مرة في حين كان يدعو القروي الحصادين إلى حقوله الصفر ،
ويكون قد بادر في حصاده الزرع القائم على سوقه القصم ،
التحمت المعارك ، على جميع أنواعها ، تبين الأرياح ! هذا ما رأيت .
وكانت هذه الأرياح تستأصل الزرع المتقل ، من أعماق جذوره
وتدفع به بعيداً ، ثم بأقصار قاتم ،
كانت تأتي العاصفة ، فتقل الصوف والتبن المتطاير ، وتذهب به .
وكم من مرة ، في الفضاء ، تلبدت المياه شآبيب ،

(١) لقد بالغت في الايجاز اخلاصاً لنص اللاتيني ، ومعنى الجملة كما يلي : أو (ماذا أقول عما ينبغي أن يكون المرء حريصاً عليه) عندما يقبل الربيع المطير ،

وحصن في جوفه ، العاصفة الهائلة تصبها الأمطار الدكن ،
ما التمّ في حلّ من الغيوم ، وما هي إلاّ والسحاب المتعالي ، يهبط على الأرض مدراراً
وسيل عظيم يغمر السنابل الضاحكة ، تجني عمل البقر ،
ويجرها فتقوع الخنادق ، وتغور الأنهار مرتفعة عن مجراها العميق
لجبه ، ويرتج في مضايقه المضطربة ، البحر
والآب [1] في وسط الغيوم السود ، بيده اليمنى الساطعة
يشرع العاصفة ، ومن وقعها في أرجائها الواسعة ،
تهتز الأرض ، وتولي الوحوش هاربة ، وقلوب بني الإنسان ،
في جميع الأقطار يعتريها خوف وضيع .
أما هو [2] فلا يزال يرمي بسهمه الملتهب ، أو الأثوس ، أو الرودوب أو جبال
السيرونيا الشاهقة [3]
تتضاعف الرياح ، وتتكاثف الزوابل
ومن الزمهرير العنيف ، « الغابات تدوي تارة ، وتارة الشواطئ » .

* * *

وبعد أن يسدي الشاعر على قرويه النصائح ، ويوصيهم خيراً بالورع والتقوى والتضرع للآلهة ولا سيما حارس ربة الحصاد وسائر الأعمال الحقلية ، يواصل في الانشاد ، عما ولائل انقطاع المطر وانتهاء العاصفة ، فيقول :

ولا تعود ، فتنشر الشمس الفائرة ، أجنحتها ،

---

(١) أي « جوبيتار » رب الآلهة والبشر . واسمه عند اليونان « زفس » كما هو معلوم .

(٢) أي « جوبيتار » دائماً .

(٣) كن هذه الجبال في بلاد اليونان ، أو مقدونيا . فجبل « أثوس » Athos في مقدونيا ، وجبل رودوب (Rhodope) في « اتراس » تراقيا (Thrace) وجبال « السيرونيا » (Ceraunia) المعروفة اليوم بجبال (Della Chiaera) في أقصى الابير (L'Epire) والمرجح عندنا أن فرجيل يقلد هنا الشاعر اليوناني تيوكريت (Theocrite) المعروف أيضاً بمرويته وخلباته (Bucoliques) راجع هذه الاسماء في مؤلفات الشاعر اليوناني ٧٧٧ في أي طبعة كانت .

طيور الألسيون العزيزة [1] لدى ثاتيس [2]
وأما الغيوم، فتصعى شيئاً فشيئاً الى أسافل الأرض وتضطجع على الحقول.
وعلى رؤوس السطوح، حيث يتوقع غروب الشمس،
عيناً يحاول طير اليوم تحييه الليلي
يظهر عالياً في الهواء المحتلي، نيسوس، [3]
وبالشعرة الحمراء، التي احتزّها، تؤخذ سبلاً.
وأينما ولت هذه، تشق الأثير الخفيف بأجنحتها.
فنيسوس أبداً في أثرها، لدوداً، متحرّشاً، يصفق بجناحيه في الهواء.
وكيفما اتجه نيسوس في الهواء،
فهي تخف في هربها، وتشق بأجنحتها الأثير.
حينئذٍ تضغط الغربان على حلاقيمها، وتتنمر بصوت مجلجل،
ترسله ثلاثاً أو أربعاً. وغالباً، في مواقعها العالية،
ولا أدري أي لذة غريبة تحدث فيها هذا الفرح،
هي تعبث فيما بينها تحت الأوراق. بلل طل، بعد أن دفعت الأمطار،
أن تعود الى مشاهدة صغارها، وأعشاشها الخلوة.

---

(١) طير وهمي، ورد إسمه في الاساطير اليونانية، كان في زعمهم، لا يجعل عشه الا على سطح بحر هادىء. وكانوا الى ذلك يتفاءلون به

(٢) إلهة بحرية، وهي أم « اخيلوس » بطل الالياذة المشهور.

(٣) أصل هذه الصورة أسطورة يونانية خلاصتها ما يلي: « كان في رأس نيسوس (Nisus) ملك « ميغارة » (Megare : مدينة في اليونان) شعرة ارجوانية اللون، وكان مصير مملكته مرتبطاً بهذه الشعرة. فحدث أن مينوس (Minos) ، ملك اقريطش (Crète : جاصر مدينة (Mégare) وكانت إسقولا (Scylla : بنت « نيسوس » تحب « مينوس » ، فجزّت الشعرة الارجوانية من رأس أبيها وقبضت هكذا النصر لحبيبها. ومن هذا الجرم، حول نيسوس إلى باشق وحولت إسقولا الى سمانة، وترى الوالد أبداً في اثر ابنته ليقتنص منها وياتيها على سوء فعلها.

أنا بعيد عن الزعم بأن قد ألمم عليها بشيء من روح الجن ، أو بأن قد مننت عليها الأقدار بحكمة فوق طبيعتها ،

إلا أنه ، عندما تنتحي العاصفة وغيوم السماء المتناقلة

وتعدل الى سبيل آخر ، وعندما يعمد جوبيتار الندى الى الأرياح

فيضم الى بعضه ما كان من الغيوم منبسطاً

وما كان منها ملتئماً يبسطه ،

تتحوّل عند ذلك حالات الأرواح ، وأما القلوب ،

فهي تشعر باختلاجات غير التي كانت فيها أثناء كان الريح يدفع الغيوم ،

فمن ثمّ أهازيج الطيور في الحقول ،

والقطعان الفرحة والغربان المرحة في نعابها .

هذه وجهة قطعة من الأدب اللاتيني يعرفها شباب العرب ويراجعونها في مطاوي كتبهم بعد ان تروّضوا بها وبغيرها من النصوص القديمة ، أثناء دروسهم الأدبية ، على الأسلوب الصحيح السليم في الانشاء وعلى الصور والعواطف السديدة المحكمة في الرأي والتفكير . جلوناها متعة للنفس وترويحاً للقلب . ونحن ننشرها اليوم في الشباب العربي اذكاء للعلم وخدمة للأدب . ولقد حاولنا ما وسعنا ان نجاري في الترجمة النص اللاتيني بكل أمانة واخلاص ، حتى النقل بيتاً بيتاً ، واجتهدنا أثناء عملنا هذا ، ان نتجرد عن ذوقنا العربي وعن أسلوبنا العربي وعن صورنا العربية ، لكي نبرز عاطفة « فرجيل » والصور التي اتخذتها قوالب لها ، أمام مشهد العاصفة ، على طابعها الخاص لا يشوبها عنصر قط غريب عنها . وذلك قصداً منا أن ندع القارىء يجعل نفسه أمام نفس الشاعر اللاتيني معتمداً عليه وحده ، ليستنتج ما يسعه وما يشاء أن يستنتج من المقارنة التي لا مناص له من أن يقيمها بين المقطوعتين . ولما نحن ، وان كنا نعترف لقطعة اللاتينية بالتفوق في بعض النواحي ، فاننا لا نرى أن نا العربي قاصراً دونها من حيث وصف الواقع وابتكار الصور والايحاء العاطفي والاندفاع الشعري

مدرسة الآباء الفازاريين — دمشق

الأب فريد جبر المعاصري

المجتمع والسياسة

في الأدب المصري الحديث

(هذا بحث قرأناه باللغة الانجليزية في مجلة الشرق الاوسط التي تصدر عن معهد الشرق الاوسط في وشنطن
وكاتب المقال هو المستر هيوارث دون Hamworth-Dunne ج. كبير قارئي اللغة العربية في جامعة لندن بين عامي ١٩٢٨ و ١٩٤٨ ومن رجال معهد شؤون الشرق الاوسط. ومن مؤلفاته كتاب «الوسيلة لتاريخ التربية في مصر الحديث». وقد نشرت منه جزء واحد في عام ١٩٣٩ ونحاول هنا أن نترجم هذا البحث متحررين الدقة في الترجمة غير مقيدين بما عن الكاتب أن يقوله)

إنّ الأدب العربي الحديث، بل إن الأحداث التاريخية فيه، تعرّضت لإغفال كبير باعتبارها مصدراً لمواد دراسة التطورات الأخيرة في الكيان الاجتماعي لمصر. ومن أسباب ذلك أن ترجمة الكتب العربية الى اللغات الأجنبية لا تلقى احتفالاً كثيراً، وإن هناك عُرفاً بين الغرب بأن تعدّ الكتابات المعاصرة أدباً منخفض المستوى.

ومما لا معدى عن إقراره، ان العناية بالأدب العربي القديم لها شأن كبير، ولكن التركيز على هذا الاتجاه لا يصح أن يُعمي البصيرة عن حقيقة ماثلة وهي أنّ هناك أدباً عربيّاً جديداً يبرز اليوم معتمداً الى حدّ ما على اللغة العامية التي أصبح لها اليوم شأنٌ وأي شأن من الناحيتين الأدبية والاجتماعية.

ولهذه الحقيقة قدر كبير في أعين طلاّب شؤون الشرق الأوسط، لأن هذا الأدب الجديد يولي لأول نظرة ثقافية شاملة على العربية، ولن يستطيع الغربيون المتتبعون لشؤون العالم العربي أن يلموا بها إلماماً طيباً إلاّ إذا وجهوا عناية الى طابع هذا الأدب وجوهره.

والواقع إن النصف الأول من القرن التاسع عشر لا يوفي لنا مصادر عربية كثيرة لدراسة الأحوال السياسية والاجتماعية، ولكن هناك سفراً لا يستهان به لدارسي شؤون مصر

الحديثة أن يغفل وهو كتاب « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » لعبد الرحمن الجبرتي . وهذا الكتاب — وهو في أربعة أجزاء — يحتاج حقاً الى إعادة كتابته باللغة العربية لأن هناك عدداً من المخطوطات سهلة المنال تتضمن مواد حذفت في الطبعات الأصلية المنشورة بسبب هوى محمد علي . وقد ترجم الكتاب الى اللغة الفرنسية بوساطة لجنة قورنما معه بدقة ، ولكنه مع ذلك قمين بأن ينقل نقلاً جيداً الى اللغة الانجليزية لأنه يسرد في إسهاب أحداث مصر التاريخية من عام ١٦٥٩ الى يوم وفاة المؤلف في عام ١٨٢٢ .

ويستطيع المرء بدرس الجبرتي أن يقف وقوفاً طيباً على حياة الشعب المصري ثقافياً وأدبياً واجتماعياً واقتصادياً ، كما يقف على حياة الطبقات الحاكمة والعلماء . وقد أسرف الكاتب في اقتباس أقوال الكتّاب والشعراء المعاصرين له ، وكان بعضهم يرجّه نقد الى أساليب الحياة المصرية في تلك الأيام الغابرة .

ومن الشعراء المشهورين حسن البدري الحجازي (وقد توفي عام ١٧١٨) . وإذا تسنى لطالب العلم أن يظفر بنقده للعادات الدينية والاجتماعية للشعب ، استطاع أن يزودنا بعلم ما سجّله المراقبون الغربيون والسيّاح العابرون الذين لم يقفوا جيداً على أحوال مصر في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر . ولكن ملاحظاتهم مع ذلك تتقدّم دائماً على سواها باعتبارها في طليعة المصادر التي يعود إليها الباحث .

ولا يسع المرء أن ينتقص من قدر مذكرات الجبرتي ، ولن يتسنى لنا أن نظفر برجع آخر ذي شأن إلاّ حين يدرج بنا التاريخ الى عام ١٨٨٧ — ٨٨ حين نشر علي مبارك باشا موسوعته المرسومة « الخطط التوفيقية الجديدة » .

وفي عصر محمد علي (بين عامي ١٨١١ و ١٨٤٩) عرفت مصر أول مطبعة فيها نُصبت في بولاق — من أحياء القاهرة — في عام ١٨٢١ وهي لا تزال المطبعة الرسمية للحكومة . ولا يصحّ أن يحتجزنا « إنتاج » هذه المطبعة طويلاً ، ويكفي أن نقول إن المطبعة نشرت ٢٤٣ سفراً — ومعظمها منقول من اللغات الأوربية — بين عامي ١٨٢٢ و ١٨٤٢ ، وكذلك ١٢٥ كتاباً باللغة التركية و١١١ بالعربية و٦ بالإنكليزية وقاموساً بالإيطالية وليس لهذه المجموعة من المؤلفات قيمة أدبية وإن كانت الترجمة العربية للموضوعات العلمية طيبة نحوية واصطلاحية . وقد أصدر محمد علي أمره بإعداد هذه الأسفار العربية لتستخدم في المعاهد التي أنشأها باعتبارها ضرورة لازمة للأداة العسكرية . وإذا عثر الباحث على أزهار بين ركام تلك الأشواك فهذا من المصادفات المجرّدة .

وانفرد الشيخ رفاعة بدوي رافع الطهطاوي دون سواه بالمروق عن قائمة المترجمين

الطويلة . وهو ينحدر من أسرة عريقة في الصعيد ، تلقى دروسه في داره ثم في الأزهر طبقاً لمنهج المسلمين التقليدي . وكان جملة ما نشره نحو ستة وثلاثين كتاباً ، أبرزها كتاب « تخليص الابريز إلى تلخيص باريس » وقد كتبه بعد إقامته في باريس موفداً ليكون إماماً لاول بعثة كبيرة من الطلبة المصريين زارت فرنسا بين عامي ١٨٢٦ و ١٨٣١ .

وعدا القيمة السيكولوجية لهذا الكتاب باعتباره معرباً عن وجهة نظر معينة لمسلم تجاه لون من ألوان المجتمع أجنبي عن المألوف في البلاد ، فان للبحث قدراً اجتماعياً خاصاً لانه يضم بين دفتيه ملاحظات دونها أول مسلم مثقف يتصل اتصالاً وثيقاً بأوفر دول أوربا حضارة ومدنية .

ورفاعة مفتون إعجاباً بفرنسا ، وبما حققته من تقدم في مجالات الأدب والعلم والمعاهد والجامعات والمكتبات والمتاحف والمتاني . وقد أجرى مقابلة بين المسيحي الفرنسي والمسيحي المصري من أبناء وطنه ووصف الأخير بأنه نذر ما كر . وتحدث عن الصناعة الفرنسية ليبين الفارقات بينها وبين كل المصريين . وأبدى إعجابه بالصحف وبالدستور الفرنسي وبنهج الحكومة . ولم ينس — وهو مدرك إنه يكتب كتابه ليقرأه زملاؤه الأزهريون — أن يقتبس بين آن وآخر آيات من القرآن وفقرات من الأحاديث وأن ينتقد بعض عادات الفرنسيين الاجتماعية ولا سيما في ما يتعلق بسلوك المرأة . وأبدى رأيه من كيفية تعامل الرجل الفرنسي أمام الجنس اللطيف . أضف إلى ذلك ان وجهة نظر الفرنسيين تجاه الدين كانت بغير ريب مدهشة لرفاعة .

ولا يفتقر الكتاب إلى ملاحظات تشبع الابتسام على محيا القارىء . ومن آيات ذلك سذاجة المؤلف عند دهوته للجلوس حول مدفأة — وهي مكان الشرف في البيت الفرنسي — وعدم قدرته على أن ينسى ما تعنيه كلمة « النار » عند المسلم من اشارة إلى « الجحيم » . وسره كثيراً أن يُلفي الكتب الفرنسية وقد حلت من الشروح والحواشي ذكراً ان كل كتاب كان يدرسه في الأزهر تضمن « مكتبة » من أمثال تلك الشروح والحواشي .

وهذا الكتاب جدير بأن ينقل إلى اللغة الانجليزية لما انطوى عليه من نظرة انسانية فضلاً عن قيمته التاريخية . وإن مقام رفاعة في الأدب العربي الحديث يعدل مقام لومونوسوف في الأدب الروسي . والواقع ان رفاعة ترجم بعض الكتب بالروسية لحساب « محمد علي » ويبدو أن ذلك كان تلبية لطلب حاكم مصر .

وبانقضاء عهد محمد علي في منتصف القرن التاسع عشر أُبطىء تقدم مصر وأخذها بالأساليب الغربية حتى وُلي الحكم اسماعيل باشا (بين عامي ١٨٦٣ و ١٨٧٩) فلقي التعليم عناية شخصية من الحاكم ، وأعيد فتح المعاهد ونظمت بإشراف علي باشا مبارك مزاحم رفاعة .

وفي نحو هذا الوقت ، بدأ نفوذ السيد جمال الدين الأفغاني يجد صداه في الحياة المصرية

الأدبية والدينية والسياسية . فقد كان الأفغاني زعيماً لحركة المطبعة الاسلامية وأباً للنهضة الروحية في العالم الإسلامي . والواقع إن تأثيره لا يزال حتى اليوم ملموساً .

وقد بُعثت لمعارضة حركة الأفغاني، حركة أزهرية رجعية يتزعمها أمثال عليش والبجوري . وتصدَّر الحركة الاصلاحية في مصر محمد عبده تلميذ الأفغاني الوفي والشيخ العبادي شيخ الجامع الأزهر ونجل محمد المهدي وهو شيخ ذو نفوذ في عهد محمد علي وكان قبلاً قبطيًّا .

وفي هذه الحقبة نرى كذلك مبادىء النهضة الصحفية في مصر ، فقد غدا بعض الصحف الذي أنشىء إذذاك في مرتبة عالية . ورأينا كذلك مدرسة مفعمة بالنشاط قوامها مترجمون سوريون ومصريون تعاونوا معاً منتفعين بالجهود الصحفية ليقرّبوا المصريين الى التفكير الغربي وفي هذا حققوا نجاحاً يذكر .

وأخيراً ، وليس آخراً ، برزت طبقة من الساخطين قوامها ضباط في الجيش وعلماء ومفكرون لم يرضوا عن الحالة في مصر ، فعملوا على تشجيع الملاحين المستضعفين الفقراء المثقلين بالضرائب على رفع أصواتهم إعراباً عن شعورهم .

وفي عهد اسماعيل اتخذ هذا السخط العام أساليب شتى . فكان أبرز أنصار الفلاح الذليل رجل مصري يهودي إسمه « جيمس صنوه » عرف في ما بعد باسم « الشيخ أبو نضارة زرقة » . والواقع أن من عجائب التاريخ أن يغدو يهوديٌّ رائداً أول في إنعاش الحياة المصرية الاجتماعية والسياسية . وقد بدأ « صنوه » حياته العامة كرجل معني بالأدب المسرحي واستطاع فعلاً أن يصدر إثنتين وثلاثين رواية تمثيلية عربية . ولكنه ما كاد ينجذب الى السياسة حتى طغت شهرته في هذا المضمار على كل ما أصابه من نباهة ذكر في المسرح . وقد عمل على اتصال وثيق مع جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، وبعجوزتهما بدأ في عام ١٨٧٧ نشر جريدته التهكمية التي خلع عليها اسم المستضعف (أبو نضارة) . ولما كانت الجريدة متفرّدة دون سواها بهذا الطراز ، بادر كثيرون بتقليدها مستعملين اللغة العربية الدارجة التي كان متمكناً منها . وتضمن كل عدد من المجلة حملة عنيفة على الحكومة ، فلما لم تستطع السلطات أن تتحمل الوصف المثير لحالة الفلاح المصري ، نُفي أبو نضارة فحمل معه صحيفته الى باريس وأصدرها هناك فصادف من الشهرة ما جاوز بغير ريب ما كان يمكن أن يظفر به في مصر . وكانت الجريدة توزع في جميع ربوع العالم الاسلامي وأصبحت لسان الحركة القومية المصرية وحركة الجامعة الاسلامية تلتف حولها جميع الثائرين من المسلمين .

وفي مصر كذلك جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده . وشقَّ مسلمون من تركيا وإيران وشمالي أفريقيا وأوربيون من الساخطين عليهم — كويلفرد سكاون بلنت — طريقهم الى

باريس لينشطوا الحركة ويمدوها الرأي والمشورة . واستطاع ذلك اليهودي أن ينجز عملاً رائعاً من أعمال الارتياد بأن نظم نشاط العمال المسلمين ووجهه وكانت له يد في تأييد ثورة عرابي في مصر وحركة المهدي في السودان وحركة تركيا الفتاة . ومع ذلك استقبله سلطان تركيا وشاه إيران وكرمه القطبان مثنين على جهوده في سبيل الاسلام . ولتعذر الحصول على نسخ من جريدة أبو نضارة ، ولكنها مع ذلك كانت تقرأ وتنتقل النسخة منها من يد الى يد .

وفي وقت صدور مجلة أبو نضارة والصحف المحلية الأخرى بدأنا نرى مدرسة من الكتاب تقوم أفرادها على أن يصبوا إفراغ اللغة العربية في قالب جديد لتستطيع أن تعبر عن أفكار جديدة ناشئة عن الاتصال بالغرب . وإلى هؤلاء يرجع الفضل في إبراز الأدب العربي الجديد . وإذا قلبنا صفحاتهم سنعة صفحة استبانت لنا أمثلة لعبارات وتراكيب عربية نقلت عن اللغات الأوربية حرفاً حرفاً متحررين مما درج عليه الأدب العربي وسرعان ما أدى تراخي الأيام وألفة المصريين لهذا الفن الجديد إلى استحداث أسلوب عربي طبيعي من جديد .

وقد أفضى إفلاس البلاد في عهد اسماعيل باشا وادخال المراقبة الثنائية (البريطانية الفرنسية) للإشراف على مالية مصر في عام ١٨٧٩ إلى نشوء ثورة عرابي — تلك الثورة التي مهدت لجميع الثورات العربية الأخرى — ثم إلى احتلال البريطانيين لمصر في عام ١٨٨٢ . وغدت العلاقات مع بريطانيا العامل المهيمن في جميع مراحل السياسة المصرية منذ ذلك الوقت . وفي الفترة الواقعة بين طابي ١٨٨٢ و١٩١٤ رأينا عدداً من الكتاب المبرزين لا يشار إلى كتاباتهم إلا قليلاً ، ولكنهم يحتاجون إلى دراسة عميقة إذا أريد الوقوف وقوفاً صحيحاً على كيفية تصرف مصر سياسياً واجتماعياً تجاه ضغط الغرب العنيف .

ولنذكر من أولئك الكتاب سليم النقاش وهو من السوريين الذين استوطنوا مصر واستثمروا مواهبهم الأدبية في خدمة قضية مصر . وإن مصنفه الضخم « مصر للمصريين » الذي صدر في عام ١٨٧٤ ليعد ضرورة لا مندوحة عنها لمن أراد أن يقف على تاريخ مصر السياسي في تلك الحقبة . فهو يتضمن معلومات مستفيضة لا تعرف في سواه من المصنفات عدا إنه انتصف للفلاح وجاء دفاعاً عنه حتى جاوز في ذلك سواه من الكاتبين .

ولا يسع المرء أن ينسى كتابات جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، وقد سبقت الإشارة إليهما عند الحديث عن عصر اسماعيل باشا . فقد أسهما بقسط وافر في شؤون الدين والسياسة والاجتماع والشؤون الاجتماعية للشعب المصري . وتلك البحوث مدرجة في كتاب

« العروة الوثقى » وفي الجزء الثاني من ترجمة حياة محمد عبده الذي جمع أصوله المرحوم الشيخ رشيد رضا وهو تلميذ من تلاميذه . والكتاب الأول نشر عدة مرات وهو مقرر ممتاز له مقام معلى . وقد جمع الشيخ علي يوسف كتاباته في تلك المشكلات عينها وضمنها كتاباً نشر في عام ١٨٩٠ بعنوان « منتخبات المؤيد » . وكان علي يوسف فطناً سياسياً مرموقاً في عصره ، ومديناً للخديو ورفيقاً ملازماً لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده .

وفي أثناء العشرين عاماً الأخيرة من القرن التاسع عشر ، ظهر كذلك عدد وفير من الصحف والمنشورات بقلم كتّاب اشتركوا خفية في الحياة السياسية في مصر . والواقع أن من أكبر رواد هذه المدرسة قطب سياسي وعد من نشأة السلطات كثيراً وأعني به عبد الله النديم . ومن أبرز ما أصدره مجلة « الأستاذ » وهي مثيرة بدرة المثال في درس شؤون مصر . وعدا نشاطه السياسي ، نشر بشهرزاد كتاباً عن وخطيب . وكان من المنظمين الرئيسيين للثورة العرابية ، وقد نفي من مصر في عام ١٨٨١ ، ثم مات في القسطنطينية في عام ١٨٩٦ . وفي هذا العصر نرى عدداً كبيراً من الصحف تحيط اللثام عن قدرة المصري العجيبة على أن يستغل ذكاءه وروحه المرحة في الصحافة السياسية . ومعظم هذه الصحف يستحق الدراسة والتحري ، وقد كان رؤساء تحريرها رجالاً غذوا حياتهم للعمل في السياسة الهوجاء مستعدين على الدوام لأن يؤدوا الثمن كاملاً . وفي ما يلي بضعة أمثلة على الصحف التي صدرت وبعض مواعيد صدورها وهي :

أصدر محمد توفيق مجلة « حمارة منيتي » في ٢٣ فبراير ١٨٩٨ وأصدر محمد النجار « الأرغول » في أول سبتمبر ١٨٩٤ وحسن توفيق مجلة « الأزهر » في عام ١٩٠٦ ومحمد توفيق « المقرعة » في ٣ مايو ١٩٠٥ ومحمد حمدي ومحمد هلالي الأبياري « الزمان » في نوفمبر ١٨٩٨ وصدرت مجلة « غزل البنات » ولها إسم آخر هو « دفن الباشا » في فبراير ١٨٩٩ ثم صدرت مجلة « المهدي » في ٨ يوليو ١٨٩٨ و « الفيلسوف » في ١٠ مايو ١٩٠٤ ثم أصدر عبد الرحمن الهندي مجلة « عفريت الحارة » في أول مايو ١٩٠٩

وهناك لون آخر من ألوان الدراسات ، وأعني به « كتاب حاضر المصريين » لمحمد عمر وقد نشر في عام ١٩٠٢ . وقد حلل عمر بالتفصيل النظام الاجتماعي والاقتصادي للمصريين و « أسباب تدهورهم » كما جاء في عنوان الكتاب الفرعي وإن فقرات كثيرة من ملاحظاته ما فتئت تنتبس حتى اليوم في الصحف وفي سواها من المنشورات . ويبدو أنه لم يكن إلا واحداً من رجال مدرسة المعجبين بأوربا على حساب مصر ، لأننا نرى فتحي باشا زغلول يصدر كتاباً عن « سر تقدم الانجليز السكسونيين » ، وأمين فكري باشا يصدر سفراً في ثماني مئة صفحة في

عام ١٨٩٣ عنوانه « إرشاد الألبا الى محاسن أوربا » وكان مصطفى باشا فهمي رئيس الوزارة في عهد كرومر المعروف بأنه مربية البريطانيين من أكبر العاطفين على جهود هذه البعثة .

واذا انتقلنا الى الجانب المشرق للفترة السابقة لعام ١٩١٤ ، اتضح لنا أن زيادة الرخاء — فضلاً عن جنوح المصريين الى حظٍّ كبير من الاشتراك في النشاط السياسي والاقتصادي للبلاد — أفضى الى تنشيط الاستغراق في الشؤون الاجتماعية . فشهدت تلك الحقبة نشوء مدرسة مصرية للموسيقى بدأها عبده الحمولي وعزّزها بعلمه كامل الخلعي الذي أخرج كتابين عن الموسيقى . وكانت تلك المدرسة بدورها سبباً في بعث مدرسة أخرى من الشعراء الشعبيين والمغنين . ومرحان ماجباً للمجتمع يجعل منها موضع طوله وترفيهه . ودار كثير من هذا الاتجاه الاجتماعي حول مسرح ألف ليلة وليلة ، ولكن التشجيع الذي لقيه هؤلاء المغنون من بعض الأفراد كان له فضل كبير في ما حققته الموسيقى والأغاني من ارتقاء . وكان أقطاب المجتمع يتبارون للظفر بشرف دفع أقصى أجر لبطله موسيقي أو مُغَنٍّ . ويكفي للاشارة الى ما أسهم به أمثال هؤلاء المرفهين في الحياة الأدبية أن نذكر حسن الألاتي الذي أخرج مجموعة من ثلاثة مجلدات تتضمن لمحات عن الحياة الاجتماعية لأهل القاهرة وتنطوي على ضروب عن حياة الليل لا يكاد يعرف لها مثيل عند غير المصريين . وبكاء حسن يكون بارزاً في خصاله ، وقد جمع حوله « الأدباتية » من الشعراء والكتاب وذوي الألباب وسواهم . وكان لهم ناديخاص خلف « الكتبخانة » وكان إسمه المألوف الدائر « المضحكخانة » أي بيت الضحك . وكان من أصدقاء حسن ، محمد البارودي وهو من المصريين الأذكياء البارزين ، وقد نشر إبنه مجموعة من أقواله . ومنهم محمد الرشاد ومحمد المويلحي والشاعر المشهور حافظ ابراهيم . وهؤلاء جميعاً ابتدعوا ما يمكن أن يعدّ أطلقاً جديداً للغة العربية نقله عنهم في ما بعد زغلول باشا الزعيم القومي .

ومن فروع الأدب التي كنت أفضّل ، مع أنها تعدّ دراسة خاصة لسبب كتابتها باللغة الدارجة في الأغلب ، الشعر الشعبي الذي يفصح عن كل ما يتميز به المصريون من مرح وذكاء وحذق . ولهذه المدرسة شأن من الناحيتين الاجتماعية واللغوية ، لأنه بالاستعانة بهذا الأدب يمكن النفاذ جيداً الى فلسفة الشعب ، فما نعرف مرآة أصدق من مرآة الأدب الشعبي . وتصوّر لنا حسن صقر مثلاً صورة للحياة الاجتماعية والسياسية حتى الحرب العالمية الأولى بأسلوب ساخر . وإن كان سهل الفهم محبوباً من الجميع وتصويره للحياة في حيّ الأزبكية في القاهرة في عام ١٩٠٥ تصوير متقن ، وقد كانت الأزبكية بؤرة المشارب والعاهرات وحياة الليل . وعقب حادثة دنشواي في عام ١٩٠٦ ، وضع حسن صقر قصيدة

الى كروس هي خير نموذج لهذا القرن من الأدب . وفي وسع المرء أن يدرك منها كيف ينشد المصري سلوى في الشعر الشعبي تارة في حالات يكتنفه فيها رهقٌ سياسيٌّ ، لأن الشعر يخيّل له إنه على قدم المساواة مع تروس الكبيرا . وعنده كذلك قصيدة ذرية في بني اسرائيل وأخرى عن الحرب الروسية اليابانية وثالثة عن الطيارين الفرنسيين الذين أسقطهم البريطانيون وكوفئوا عليه ، وإن كانت قصائده هذه لا تستأهل دراسة لأنها تمثل لنا متعة الوقوف على وصفٍ للحياة المصرية

وفي الفترة التالية للحرب العالمية الاولى ، نرى أمامنا انتاجاً جديداً وثيراً . ومن أهم هذا النتاج ظهور مدرسة جديدة للكتّاب الروائية والأقصوصة ، ومن روّادهم الأوائل هيكل . وقد ظهرت أوّل رواية له « زينب » في عام ١٩١٤ ، ولكنه لم يجد الشجاعة الكافية ليقول إنه مؤلفها بسبب حداثة العهد بهذا الفنّ الحديث . وعالج هيكل كثيراً من المشكلات المتصلة باستخدام اللغة العربية الدارجة في الحوار المكتوب .

ومن الروائيين في تلك الفترة ميخا ابراهيم المازني مؤلف « ابراهيم الكاتب » وقد عارض في استخدام اللغة الدارجة من حيث المبدأ . وبينما يدّنا هيكل بدراسة اجتماعية مقدورة للحياة في الريف ، يصف لنا المازني الدوائر الأدبية والفكرية التي كان على اتصال بها

والتيموران محمد ومحمود يقدّمان لنا نتاجاً من خير ما يجتذب اهتمام الدارس للحياة المصرية . فكتاب « ما تراه العيون » لمحمد يحتوي على صور كثيرة للحياة اليومية . بينما تعمق محمود في دراسة مرجليان وتشيكوف فاستطاع أن ينشئ مدرسة مصرية للكتابة الأقصوصة يقلّدها كثيرون من الكتّاب في جميع البلدان الناطقة بالضاد . ومن حظ التيموريين أنهما ينتميان إلى أسرة عريقة فاستطاعا أن يدخلا « الهيئة الارستقراطية » الى ميدان الأدب وهو عامل له شأنه في مصر . وقصص محمود ، هذا إنها لتسجل تسجيلاً أميناً جميع نواحي الحياة المصرية ، مكتوبة بأسلوب رائع بعيد عن الصنعة والتكلف

وليس في الأدب العربي الحديث كتاب كبير الوقع في النفس خاص في التصوير صادق للحياة كـكتاب « الأيام » لطه حسين ، وهو قصة حداثته . فإن كيان الأسرة بأسره موصوف وصفاً ثابتاً بالحياة شاملاً ، ولاسيما مشاهد الحياة المدرسية ووصف الحياة التي يدرج عليها رجال الدين . ومما يؤسف له أن هذا الكتاب نقل الى الانجليزية نقلاً رديئاً بسبب افتقار المترجم إلى الالمام بالأوضاع التي تحيط بالرواية ، وإخفاقه اخفاقاً تامّاً في صوغ الأسلوب الرائع الأنيق لطه حسين بالانجليزية . ولقد أنتج قلم طه حسين عدداً كبيراً آخر من الكتب — منظمها تاريخ الأدب ونقده — وأشهرها كتاب « مستقبل الثقافة » . وفي تلاوة هذه الأسفار خير مرشد للوقوف على الأدب العربي الحديث .

وتوفيق الحكيم — وهو كاتب معاصر آخر — له أتباع كثيرون، ولا ريب في نبوغه وذكائه. وكتاب « عودة الروح » هو من خير الدراسات عن الحياة المصرية الاجتماعية والسياسية في السنين الأولى للثورة يزعامة زغلول باشا.

وعقابلة هذه الرواية بكتاب « حديث عيسى بن هشام » للمويلحي في القرن التاسع عشر، يستطيع المرء أن يدرك فكرة عامة عن التحولات الاجتماعية الكبيرة في السنوات المئة والخمسين الماضية أسوة بما فعله صلاح الدين ذهبي في كتابه « مصر بين الاحتلال والثورة ». وإن دوس هذين السفرين يشبع كذلك نهما طرأ من ارتقاء على اللغة، وآية ذلك مرونة أسلوب توفيق الحكيم وقدرته على الاعراب عن آرائه في جذالة ويسر على النقيض من السالفين ذوي الأساليب الجامدة الجافة. ومن مصنفات توفيق الحكيم الأخرى — وهي كثيرة — لا تقصى عن الأطلاع في إثراء دراسته الاجتماعية البارعة « يوميات نائب في الأرياف » ففيها وصف لألوان من الأخلاق يضادفها التلقي في البلاد بكل ما تنطوي عليه من شذوذ سواء كان أصحابها من ضباط البوليس المقامرين أو من الخفر أو من حكام الأقاليم.

والمتلوطي هو من الكتاب المعاصرين حياة الذين تجدر دراسة كتبهم الوقوف على حياة مصر السياسية والاجتماعية. ويلقب المنفلوطي « بأبي المقالة المصرية ». ومنفلوطيته تحيي المرء أن يقف على الأحوال العامة، ولكنه قليل المشاغبة وقد أصبح اليوم قديماً في منهاجه. وعلى النقيض منه نرى محمد أمين حسونة صاحب عقل يقظ يادس في كتب كيفية التوصل بالأقصوصة لبسط صور الحياة المصرية.

وسير القصاصين كاتبة شابة لها مستقبل عظيم على الرغم من نظرتها الخلقية المبالغ فيها، وإلحاحها في استعمال العربية الفصحى وكتابها « أحاديث جدتي » وصف مشوق لحياة الأسرة.

ولحسين شفيق المصري كتاب عنوانه « الحاج درويش وأم سماعيل » وقد أصدره ابن اخته عبد السلام علي نور وهو فنان مصري نال شهرة طيبة في أوربا لنقوشه على الخشب والمعادن. وحسين شفيق المصري محرر بارز في الصحف بالغة الدارجة وقد عرف بوجه خاص بمجلة « المكاهة » التي كان يرزيها واسماً، وبجريدة « الناس ».

و « مذكرات فتيرة » لحسني يوسف و « مذكرات عرنجي » لختني أبو محمود و « المنفلوطي » لعبد الله حبيب لعبد نماذج ممتازة لنواحي الحياة الشعبية المصرية.

وقد أسدى أدب الجلات خدمة جلى لمساعدة الكتاب الناشئين في مصر، وأبرز مجلتين أسبوعيتين في الوقت الحالي هما « الرسالة » ويرأس تحريرها أحمد حسن الزيات و « الثقافة » ويرأس تحريرها أحمد أمين.

أن روحانية وتطورها

تابع المنشور في ص ٢٠٢

ولكن هذه العقيدة ، كما يقول الاستاذ « تشارلس » ، لم تنجح أبداً في تجريد العقيدة القديمة التي ناظرتها تجريداً كلياً من قيمتها . فإن مبدأيهما المتناظرين في النفس والروح ، قد تمشيا معاً وسارا متحاذيين .... وكأني بالاستاذ تشارلس يريد أن يقول : إن التصور البدائي في « الروح الشبح » قد عاش عند العبرانيين ، الى جانب التصور التالي الذي كان أقل شيوعاً وأغلق على أفهم

كما أن الفكرة في « الروح الشبح » ظلت واسعة الانتشار ثابتة القدم بين العبرانيين ، بالرغم من التعاليم التي أتى بها الانبياء وتوارثوا بها تصوراً أعلق من التصور الأول في شخصية الانسان ، كذلك نجد عند اليونان أن « الروح الشبح » ظل محتفظاً بمكانته في العقائد العامة ، في الوقت الذي مضى فيه الفلاسفة يقيمون القواعد من أدب تقليدي مأثور أجرى على تصور الروح أو النفس تغيرات كثيرة ، وفيه تركزت أصول كل وجه من وجوه التأمل أو النظر التي تناولت ذلك التصور فيما بعد تعليلاً أو تقريراً .

ان صفحات هوميروس تريناً بجلاء أن أطرقة العصر الهوميري اعتقدوا في « الروح الشبح » . غير أن تصورهم في هذه الناحية قد اختلفت جل الاختلاف في بعض تفصيلاته عن « الروح الشبح » الطرازي الذي شاع في الروحانية البدائية ، أو ذلك التصور الذي استقر عند الشعوب البربرية والهمج في خلال كل العصور . إن « الروح الشبح » الطرازي يحمل كل القوى التي تكون في الانسان الحي ، سواء أكانت بدنية أم عقلية ، ولا يفترق عن الشخص الحي ، على الأغلب . إلا في أنه أقل مادية وأقل استلاماً لحدود الزمان والمكان . أما « الروح الشبح » الذي عرف عند أطرقة هوميروس وسمي عندهم « إيدولون » eidolon أو يسرخي Psyche فلا يعتقد بأنه يختص بمراهب عقلية ، أو هو على الأقل لا يختص بكل المواهب العقلية التي للانسان الحي . لقد كان طيفاً ظليلاً لا شيء يفرق عن جسم الانسان المحتضر من طريق الفم أو من جرح مفتوح . وهذا الخيال أو الظل ، يحتفظ بطيف حياته الأولى وخصائصها من حيث الصورة ، إذا ما مضى منحدراً الى « أرض حادس » Hades . أما القوة والارادة ، وكذلك الشعور والقوى العاقلة فهو وجدانه ، فقد فرض بأنها تحل في منطقة الحجاب الحاجز من الجسم ، وأنها تنحل بل وتندثر عند موت البدن .

أما العقول اللامادية أو المتجردة عن الأجسام ، فلم تكن معروفة عند أطرقة ذلك

العصر وحتى آلهتهم، فانها كانت تعيش على الأرض، وكانت منحصرة في أجسام لا تختلف عن أجسام الناس إلا في أنها معصومة من المرض ومن الموت.

هذه الظلال إذا نفيت مرة الى أرض « حادس »، فانها تؤسر هناك وتسجن. ومن هنا نجد أن دنيا هوميروس كانت مبرأة عن الشوائب من الأشباح التي غشت فيما مضى ولا تزال تغشى على مقرل العديد الأغلب من الجماعات والأمم. كذلك لم يكن في دنيا هوميروس من محل لعبادة الموتى. ذلك بأن الموتى لم يكن لهم من محل معترف به في هذه الحياة، ولم يكن في مستطاعهم أن يؤثروا في حياة الإنسان الدنيوية بالخير ولا بالشر.

وليس لدينا من أسباب تحملنا على الشك في أن ضرباً من الروحانية يمت الى الصنف الشائع منها كان ذائعاً من قبل عصر هوميروس بين الآفارقة. فإن إشارات من هذه الروحانية وما يتبعها في العادة من عبادة الموتى، قد عاشت فيما روي عن أخيلس Achilles وفطروقلوس Patroclus والضحايا الجنائزية من الخمر والنعم والثيران والخيل وشباب طروادة. والظاهر أن هذه لم تكن غير بقايا طوطمية استمدت من عبادة الأرواح التي ذاعت وانتشرت في عصر سابق، حيث بعثت الأرواح الخشبية والخزف في القارب بقواها الناشطة، وتدخلها في مرافق الحياة الانسانية [1].

من كتابات هوميروس ما يظهر لنا حالة فكرية سابقة قد تستخلص منها ميلاً أو نزعة نحو تشخيص المجردات وإلباسها أثراباً مادية. ولقد كان لهذه النزعة آثارها البينة في ضروب الفلسفة التي ذاعت فيما تلى ذلك من العصور. ففي بعض الأحيان نظرت الروح الى الحياة، أي اعتبرت هي والحياة شيئاً واحداً، وأن القوى العاقلة، وقد اعتبر أن مقرها منطقة الحجاب الحاجز، قد رُدت الى ما سمّي « ثوموس »[2] أي القلب Thumos أو « بولي »[3] أي الارادة Bouly وهما ذاتيتان، إن تبعنا البدن، فانهما لا تختصان بشيء من الأعضاء البدنية.

إن حياة « الروح الشبح » في أرض « حادس » ليست بقاء الشخصية. ذلك بأن الجسم عند آفارقة ذلك الزمن، كان جزءاً جوهرياً من لوازم الشخصية. ومع هذا فقد يظهر في هوميروس، وربما كان ذلك إضافة على الأصل ضُمّنت فيما بعد، اعتقاد بخلود نفر قليل من ذوي الحظوظ. هذا الخلود لم يكن خلوداً للروح وحده، بل خلوداً للشخص كله، وكان

(1) See: "Psyche": Erwin Rhodes, second edition, Leibzig, 1905

(2) Thomos = the soul: also the life, breath, Lat. anima, the soul, heart. Lat. animus. Lidd & Scott. p. 323 (3) Bouly = will, determination. Lidd & Scott. p. 134.

يعتقد بأنه انتقل بجسمه بفعل بعض الآلهة الى « جزائر السعداء the Isles of the Blest أو الى « ارحاب الاوزية » The Elysian Fields وهي أصقاع بعيدة قصية قد يكشف عنها في ناحية من نواحي الارض بارج جوي أو ملاح فارة . وهذه الفكرة ، التي ربما كانت خيالاً شعرياً قد حفلت مكاناً ثابتاً في المعتقد السائد بعد أن تضمنتها الاشعار الهوميرية . فلقد كانت تعقيباً طبيعياً على تلك الصورة التي صيغت فيها الروحانية الاغريقية .

إن هذه المعتقدات الهوميرية ظلت مقبولة ، على وجه عام ، حتى القرن السادس قبل الميلاد عندما نشأت طبقة جديدة من المفكرين ، وهم رجال من طراز أولئك الذين يعيشون في « جزائر السعداء » لم يعرفوا الموت ، وأنهم بقوة الهه من الآلهة ، قد زُجّوا في خلال صدع أو غار من الارض ، فابتلعهم الزلزال ، أو ضربتهم إحدى صواعق « زيوس » : Zeus فأخذوا بها ولكن لم تقتلهم . هؤلاء الابطال أصبحوا موضع عبادات محلية في كثير من الاحيان . ولا يبعد أن تأثير هذا المعتقد ، وتلك العبادات ، كان سبباً في أن يعود معتقد بقاء الشخصية الى الحياة ، ذلك المعتقد الذي عاش قبل العصر الهوميري . ولقد يقتضي أن مذهب « هسيود » Hesiod : في « العصر الذهبي » Golden Age : كان له أثر كبير في العودة إلى ذلك المعتقد . فقد تعلّم أنه بالرغم من أن رجال العصر الذهبي قد بادوا وفنوا ، فان ارواحهم قد بعثت بارادة زيوس الى حياة أخصب وأغنى من حياتهم التي قضوها في أسر البدن ، وأن هذه الارواح ، وقد شركت الآلهة في خاصية الخلود ، قد عرفت ، كما عرف الآلهة ، باسم « ديمون » (١) Daemons : ، وأنهم يعيشون بين الناس غير منظورين ، عارفين بأعمال الناس ، خيّره وشرّيره .

لا مجال إلا لقليل من الشك في أن هذه المؤثرات كان لها فعل بالغ في بروز عبادة الموتى وتعاظمها في ثنايا الحياة الدينية عقيب العصر الهوميري عند الاغارقة . لم يختص كل الناس بالبقاء بعد موت البدن ، وإنما خصّ بذلك كبار القواد والذين امتازوا في الحياة عن غيرهم من الناس . في ذلك الوقت حلت عادة الدفن في الارض محل المحرقة الجنائزية التي عرفت في عصر هوميروس ، حيث ذاع الاعتقاد بأن روح الميت تحوم بقربة من المكان الذي يتضمّن رفاته . ولمّا أن كان المعتقد أن هذه الارواح وفيها القدرة على التأثير في حالات الناس ، وبخاصة حالات أحفادهم وسلالتهم ، فقد أصبحوا موضع عبادة من أفراد الاسرة

(١) Daemon : Lat. from Greek (daimon) — a god, a spirit), a spirit, a being of another world. (Demons. Encycl. Dict. p. 652. vol, II

وتدل كلمة « ديمون » في اليونانية على اله أو روح أو كائن من عالم آخر

وممن هم حولها من الناس ، وخُصّوا بطقوس تقرُّبيّة أو توسُّليّة ، وقدمت الى البطل الميت التقدمات ، من الخمر والعسل والزيت والعجائن المحروقة ، كما تضمنت تلك العبادة في مجموعها الاعتقاد بأن الميت يعيش بين أهله وعشيرته وأن الموت لم يغير منه إلاّ القليل . غير أن هذا البقاء لم يحتو فكرة خلود الروح ، بل إن بقاء الروح واستمرار حياتها تتوقف على العكوف على تلك العبادة ، يقوم بها الأصدقاء ، وبالأخص أعضاء الأسرة ، يتوجهون بها إلى البطل الميت .

إنّ البطل إنما يحظى بتلك الحياة بعد الموت بفضل إله من الآلهة ، يَمنّ عليه في العادة هاتفٌ دلفي . ولكن هذه العملية المعقدة سهلت مع الزمان ويُسرت ، فذاعت وتضاعف عدد الأبطال بسرعة حتى لقد أصبح من الشائع المسلّم به ، أن كل الذين يسقطون في حومة الوغى ، ينالون حظوة البقاء ، كالأبطال تماماً .

إن باباً واسعاً للاعتقاد بالحياة بعد الموت قد فتح بنشوء الأسرار « الأليوزية » . استمدت هذه الأسرار من عبادة « دماطر » Demeter وفرسيفون : Persephone الأليوزيان وهما إلهتين موضعيتين مقرّهما العالم السفلي . اشتُرف بهذه العبادة في أثينا ، ثم تدرّجت حتى اعتنقوا ذاك فاتسع نطاقها اتساعاً عظيماً ، حتى لقد سمح للعبيد تعلم أصولها والتفقه فيها . أما أولئك الذين اعتنقوا أصول هذه العبادة ، فقد بشر لهم بحياة أخرى يحيونها في المستقبل . حياة أقل خيالية وأكثر واقعية من حياة الدنيا السُّفلى ، حياة الظلال المظلمة ، التي لا يتطلع الذين هم لم يعتنقوا أصول هذه العبادة إلى أكثر منها . بذلك أصبح الأمل في حياة مستقبلة أمراً ممكناً لجميع الناس . ولكن بالرغم من هذا ، لم يقبل معتقد خلود الروح قبولاً عامّاً شاملاً .

ظهر ذلك أول ما ظهر في إغريقية ، بظهور عبادة « ديونيسيوس » ، التي تركز مظهرها في فناء العابد فناءً باطنيّاً في الآلهة . وفي الصورة الأصلية التي لابست هذه العبادة كما مورست في « تراقيا » ، كان العابدون يروّحون في أخذهم من الرقص الوحشي وفي ذلك الانفعال يتصلون بالإلـه . أما الروح فيظلّ ، في مثل هذه الحال ، أن تنفصل عن الجسم وتطوف في أماكن بعيدة ، حيث تتصل بالآلـه والدّيمونات daemons

انتشرت هذه العبادة من تراقيا في أنحاء اغريقية ، واندمجت في عبادة « أفرلـون » Apollo وكان من أثر انتشارها أن اعتنق الناس فكرة أن الروح بكل خصائصه العقلية يمكن أن ينفصل عن الجسم ثم اعتقدوا أن الروح إنما قطر ليكون له مصيراً أعلى وأسمى من حياته في أسر البدن ، وأنه ما حلّ في البدن إلاّ مرغماً مجبراً ، وأنه لا بدّ من أن يتحرّر وينطلق

يوماً ما من ذلك الأمر المزري، وأن الشعائر التعبدية التطهيرية، هي طريق ذلك النجاة

تحت هذه الفكرات وتطوّرت تطوّراً عظيماً في العبادة الأورفية Orphic Cult حتى لقد قيل بأن الروح إنما يحظى بحياته الحقيقية مع الآلهة وفي بيتهم، وأن حياته في البدن نفسي يقصيه عن هذه الحياة العليا السامية. فإذا مات الجسد، انتقلت الروح لتحاسب وتمتحن في العالم السفلي. وقد يقضي عليه بأن يتجسد ثم يتجسد مرات، حتى يصير ويطير طهراً كاملاً، فإذا تم له ذلك عاش مع الآلهة. والواقع أن العبادتين «الديونيسية Dionysiac والأورفية Orphic قد رفعتا الروح حتى اعتبر إنساناً سجن في البدن. ولما كان الخلود من خصائص الآلهة الجوهرية أصبح الروح الانساني، من طريق اندماجه في حياة الآلهة عالماً بالاستتباع.

* * *

بينما كانت الروحانية آخذة في التطوّر نحو القول بنظرية الخلود الانساني من طريق لاهوتي المذهب الأورفي، كان الفلاسفة الذين عرفوا باليونيين الماديين، قد بدءوا، منذ القرن السادس قبل الميلاد، ذلك الجهد الطويل الذي رمى، غير منجانف لتعصّب ولا منكر لوحي العقل، إلى فهم الطبيعة انهائية للأشياء، ذلك الفهم الذي نقدره اليوم الفلسفة الأوربيّة. كان برنامج الذي رموا إليه أن يثبتوا أن العالم كله ليس إلاّ مظهراً بعينه من مظاهر وجود كليّ، هو الأول والأساس. ولقد حدى بهم ذلك الاتجاه أن يرفضوا، بداءة ذي بدء، الفكرة الروحانية في مظهريها: المظهر الشرقيّ، والمظهر اللاهوتيّ، فاعتقدوا أن روح الانسانيّ لم يكن غير أسلوب تتحلل فيه القوة الكتلية التي تحرك كل الأشياء وتعمل في جميع الأشياء، والتي بدونها يصبح العالم مواتاً، فيعيبه الهمود والسكات، وتمتنع عليه الحركة والتغير. وإذن لم يكن «للروح» عندهؤلاء الفلاسفة من علاقة البتة «بالروح»، كما عرف في المأثورات الهوميرية. لقد دلت كلمة: «يسوخي» Psyche عندهم على قوى العقل والشعور والارادة، واختاروا لذلك كلمة: «نوموس» (وهي كلمة يقول العلامة مكدوغل أن لا مقابل لها في الانجليزية). وقد دلت في المأثورات الهوميرية على الخصائص البدنية الخالصة في منطقة الحجاب الحاجز. كذلك لم يكن الروح Psyche عندهم موجوداً فرديًّا مشخصاً خالداً، كما كان في الكهنوتية الأورفية. لقد لاح لهؤلاء الفلاسفة أن خلود الشخصية أمرٌ فاقد المعنى. ومع هذا، فما دام أن الرُّوح في الانسان هو فعل القوة التي تحرك كل الأشياء، وباجري الحياة الكونية ذاتها

فهي بمعنىً مَّا ، خالدة وغير قابلة للدثور . بهذه النظرة كسب الروح شرفاً جديداً ، أسمى من ذاك الذي خصَّه به الباطنيون واللاهوتيون ، إذ جعلوه ينمي الى الآلهة . إذ المعنى الذي أضفاه عليه الفلاسفة ، هو معنى أنه مظهر جزئي من مظاهر تلك القوة الأحدية التي تبني الكون وتهديه ، وبذلك لم يمس الروح « ديمونا » daemon فرداً ، بل أسبغ القوة الالهية بذاتها .

إن رؤوس الفلاسفة الطبيعيين في « يونيا » قد اعتنقوا وجهات من النظر مختلفات في حقيقة ذلك الجوهر الذي خيل إليهم أنه أصل الأشياء . فأولهم « طاليس » أو « ثاليس » (٦٣٦ ق . م .) اعتقد أن العنصر الأساسي هو « الماء » . أما « أناكسمنس » فقال بأنه « الهواء » ذلك في حين أن « ديوجنيس » ولو أنه اتبع رأي « أناكسيمنس » من حيث القول بأن عنصر الأساس هو « الهواء » فانه أضفى على الفكرة ما أوسع من نطاقها وزاد إلى خطرها ، حيث أبان ما بين الهواء والروح (أو الحياة) من التشابه والمقابلة . فالهواء روح فهو إذن حي وعاقل . ولكن هذه القوة العاقلة ، هي شيء أسمى من الهواء الذي تمارس أعمالها في محيطه . فهي ينمي ، بناءً على ذلك ، أن تكون أسبق منه في الوجود الزماني . إنها هي « الأرخية » [1] Archy طلبة الفلاسفة . والكون موجود حي متطور بقوته الذاتية ، مستمد تفاعلاته من حيويته الآتية فيه . فلم يكن الهواء عند « ديوجنيس » غير رمز يرمز به الى « العقل » .

* * *

كان « هيرقليطس » (٥٠٣ ق . م .) من هذه الطائفة من الفلاسفة اليونانيين ، ولقد حمل على تحرير هذا الطراز من التأمل على قاعدة الفرض بأن النار هي مبدأ الحياة والفعل ، وأنها تعمل في حركة ذلك « الدلف المستمر » أو « الفيض المستمر » الذي يلابس الأشياء .

ما من شيء في معقد الظاهرات يمت الى طبيعة النار الالهية ، إلاَّ وهو عند هيرقليطس روح ، والروح عنده النار . فالنار والروح فكرتان متبادلتان ، وبذلك يكون روح الانسان ناراً أيضاً ، هو جزء من النار الحيوية الكونية التي تلف الروح الانساني وتتضمنه . ومن طريق ما ثبت فيه من نسمات ، يحتفظ الروح بكيانه ويظل حيَّاً ، في صورة جزء من العقل العام ، ومن طريق اتصاله بذلك العقل ، يكتسب الروح قواه العاقلة .

---

(1) "Archy" : a begining, first cause, origin

« الارخية » Archy : معناها البدء ، سبب أول ، أصل ، أرومة .

في الانسان يعيش الآله . لا على الصورة التي رسمها اللاهوتيون حيث قالوا بأنه ينزل مجسماً في فردية مطلقة ، وفي هيأة فرد من بني الانسان ، بل في صورة وحدة تلف النوع الانساني وتنفذ فيه نفوذ ألسنة النار في الاثير ، إن جزءاً من الحكمة الكلية يحيا في روح الانسان . وما الروح غير جزء من النار الكونية التي إن لفت وسيقت في دائف أو فيض الصور الكائنة ، فانها مع ذلك مقيدة ، بل عميقة ، في الوظائف البدنية .

إن النار التي هي الروح ، تحوّل نفسها ، على وجه الدوام والاستمرار ، عنه وتراباً ، وهما مادتا بناء الأبدان ومنهما يبنى البدن البشري . ذلك في حين أنها تتجدد بسيالات draits تستمد من النار الكونية . ومادام الروح في حركة دائمة من التجدد ثم التحول الى عناصر أدنى ، فهو ليس جوهراً بانياً قائماً بذاته . فاذا ظل الروح قادراً على التجدد بالاستمداد من النار الكونية التي تلفه وتتضمنه ، فان الفرد يبقى حيًّا . أما الانفصال عن النار الكونية مصدر كل حياة ، فذلك هو الموت .

* * *

بين النيئة والفيئة ، كما في النوم والأحلام ، يفقد الروح الفردي اتصاله بالنار الكونيّة التي تهب الحياة ، فيؤمر آونة في حاله الخاص ، وهذا موت جزئي . وقد تأتي برهة لا يستطيع فيها الروح الانساني أن يسترد ما يفقد في عملية الأيض : Metaolism الهدم والبناء (أو التجدد والتحوّل) فيدركه الموت . هنا يموت الفرد . ولكن النار الكونية باقية أزلية أبدية .

إن فكرة الخلود الفرديّ ، وحتى فكرة بقاء الروح الفرديّ ، قلما اكتسبت أي معنى عند هيرقليطس . فالفرد باعتباره موجوداً مستقلاً ، ليس له من قيمة أو مغزى . إن استمرار هذا الوجود الفردي تناقض عند هيرقليطس . إنه لا يعترف بالبقاء والخلود لغير النار . هذا الخلود لا يتناول ظواهرها المتميزة في أفراد ، وإنما هو من خصائص تلك الطاقة الكونية التي تثبت في تضاعيف كل الأشياء ، ثم تمتص في ذاتها نهاية جميع الأشياء .

كان الروح عند فلاسفة الطبيعة اليونانيين إذن جزءاً من الطبيعة ، وعلم النفس فرعاً من العلم الطبيعي . لم يكن عندهم من فرق بين الطبيعي والروحي أو النفسي . وعلى الجملة ، فان كل الأشياء بما فيها الحياة والعقل ، لم تكن عندهم إلاّ ظواهر للطاقة الكونية .

اسماعيل مظهر

وأحمد أمين كاتب ذي معرفة عظيمة وهو متمكن من اللغة العربية . وقد أصدر عدداً من الأسفار في تاريخ الاسلام وثقافته ، وكانت له يد طولى في انشاء مركز لدراسة العربية في مصر . وفي كتابه « فيض الخاطر » اختار أحمد أمين أجود مقالاته في موضوعات شتى في العلم والدين والحضارة والسلوك الاجتماعي والمادية والاصلاح والموسيقى ، وفيه كذلك صور من الحياة اليومية ، كمقالته التي أوردها تتحدث عن التجار المصري . وكمؤرخ تعلم كثيراً من الغرب ، واستطاع هو وجرجي زيدان أن يؤثرا تأثيراً بعيد المدى في أدب التاريخ العربي الحديث . وقد أصدر زيدان كتاب « تاريخ التمدن الاسلامي » في عام ١٩٠٢ وكتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » في عام ١٩١١ مع أن الحكومة المصرية اضطرت في عام ١٨٩٣ الى تكليف فان ديك الأمريكي (فيليبدس البوناني أن يصنفا كتباً مدرسية عن التاريخ العربي لتدرس في المعاهد المصرية .

ومن الأدباء الممتازين في العصور الحديثة المرحوم عبد العزيز البشري ثم سليم البشري من شيوخ الجامع الأزهر . وكتابه « المختار » يضم بين دفتيه صوراً كثيرة للحياة المصرية .

وعباس العقاد كاتب آخر ممتاز وناقد أدبي مقتدر ، تعالج مجموعة مقالاته نواحي الارتقاء الفكري في مصر الحديثة

وفكري أباظة ، وهو ناثر وصحفي ، يرقب الحياة المصرية عن كثب ، وقد أصدر أخيراً سلسلة جيدة من المقالات عن الشباب المصري (هي الضاحك الباكي) .

وابنة الشاطئ « تحدث اليوم صوت الفلاح المسموع وكتبها ومقالاتها في هذا الموضوع لا تخفى عنها

وقد أصدر مريت بطرس غالي في عام ١٩٣٨ كتاباً عنوانه « سياسة الغد » وهو من أنفس الدراسات الاجتماعية التي صدرت بجميع اللغات ، ومما يؤسف له إنه لم تنشر له ترجمة انجليزية حديثة .

وفي العام عينه كتب حافظ باشا عفيفي دراسة اجتماعية ممتعة عنوانها « على هامش السياسة » وبعد عام أصدر عبد الحميد فهمي مطر كتابه « التعليم والمعلمون » ليعالج فيه مشكلة مصرية حيوية .

وقد يكون في هذا العرض الموجز ما يعطي صورة عامة لجهود المصريين الأدبية وتقدمهم السريع الذي أحرزوه . ومن العسير أن ندرك كيف ان ناشراً مثل جورج يونج جرؤ على أن يقول في عام ١٩٢٧ « إن مصر الحديثة لا لغة لها ولا أدب ولا أساطير خاصة بها » . ولم يكن هذا بالكاتب الوحيد الذي يقضي بمثل هذه البيانات المضللة .

(ترجما من الانجليزية) وديع فلسطين

مملكة المرأة

وفاء امرأة

من شهيرات النساء : ايلين سالسبوري

باندي متزام : أنشودة البراعة الوطنية

الطفل ومراحل نموه

قواعد ذهبية : لمن يريد أن يحفظ صحته

أقوال في المرأة

تحرر هذا الباب وتشرف عليه
السيدة انصاف فهمت

وفاء امرأة

أذن السجين رقم ١٠٠ من اغمائه فسمع الطبيب يقول لمساعده لقد ضاعت جهودنا سدى يا جاك . فلا يمضي وقت طويل حتى تفيض روحه الى بارئها .

وأمسك السجين بيد الطبيب الكهل وطلب منه أن يقترب ليقضي اليه بقصة حياته المذنبة ، قال : أيها الطبيب إن الذي يرقد أمامك ليس برجل كما يظن الجميع ، بل أنا امرأة ... امرأة ضحت بحريتها ثم بحياتها في سبيل من أحبت !

وذعر الطبيب من قولها وهم بأن يكشف عن جسدها للتحقق من صحة قولها غير أن ماري رجته أن يتريث قليلاً حتى تقص عليه قصتها .

مات أبوها وهي ما زالت في مقتبل العمر فأخذت أمها تشقى وتكد في سبيل توفير قوتها لها ولابنتها ، غير أنها أصيبت بمرض أقعدها فأصبحت لا تقوى على العمل .

ونزلت ماري الى مضمار العمل لتعول أمها المريضة فالتحقت بحانة من حانات الليل . ولم يمض وقت طويل حتى وقعت في حب رجل شقي استحوذ على قلبها فأصبحت لا تقوى على فراقه

وشاء القدر القادر أن ينغص عليها حياتها الهادئة فيقابلها شاب يحاول أن يوقعها في حبائله ولكن بغير جدوى ، ولما شعر رومند عشيقها بقوة منافسه ، تحداه وطلب منه أن يبارزه وقتل رومند المنافس الدخيل ، ولكن البوليس قبض عليه وأرسله الى جزيرة الشيطان .

وقفت ماري تودع حبيبها وهي تذرف الدمع على فراقه ثم قالت له سوف أنقذك من السجن يا حبيبي ولو أودى ذلك بحياتي .

ومرت الليالي والأيام وماري لا تزال تفكر في طريقة تمكنها من تنفيذ وعدها الذي قطعته على نفسها ، وأخيراً استطاعت أن تصل الى جزيرة الشيطان ورسمت خطتها بأن يتسلل رومند تحت جنح الظلام بعد أن يقاتل حارسه ويهرب الى الشاطئ حيث تمد له زورقاً ينقله إلى أرض السلام والحرية .

قاتل رومند حارسه وتمكن من الهرب غير أن ماري تأخرت عن موعدها فقضى عشيقها ثلاث ليال في ممتنع يبعد قليلاً عن الجزيرة .

ولاحظ الحراس اختفاء روسند فأخذوا يتفرقون أثره ويبحثون عنه هنا وهناك، وفي الأحراش التي تحيط بالسجن، غير أن ماري لحقت به في اللحظة الأخيرة. ولما شعرت باقتراب الحراس منها لبست ملابسه الملطخة بالدماء وأعطته ملابسها.

وأخذ روسند طريقه الى الحرية بينما شعرت ماري بعدم قدرتها على الفرار ومتابعة السير فتظاهرت بأنها السجين الهارب وقبض عليها الحراس.

وذاقت ماري الأمرين في سجنها بعد أن فقدت حريتها وظلت تعمل في السجن أعمال الرجال فتارة تقطع الأحجار، وأخرى تحمل الأثقال، وتتحمل غلظة الحراس مدة طويلة، غير انها وجدت في سجنها ما يخفف ظلمها وحدتها. فقد وقعت في غرام حارس يدعى ديديه الذي لم يكن أحد قادر في جزيرة الشيطان يعرف حقيقة أمرها.

ولاحظ السجناء أن هناك علاقة حميمة بين روسند المزعوم وبين الحارس ديديه كما شعرت ماري بأنها مهددة بالفضيحة بسكات تفكر دائماً في الانتحار خوفاً على حبيبها الجديد الذي أنساها حبيبها الأول الذي لم تسمع عنه خبر بعد أن أنقذته وفدته بنفسها. ولكن ديديه تمكن من تهدئة روعها وإقناعها ألا تستسلم لمواجيعها ما دام مستعداً الآن يعترف بابنه وان تتحمل في هذا السبيل كل ما يحدث.

ومرّت الأيام وما زالت ماري تفكر في مستقبل حبيبها عند ما تنكشف حقيقة أمرها غير أن الأقدار شاءت أن تنقذها من الفضيحة.

فقد عقد السجناء العزم فيما بينهم على أن يثوروا بثورة في وقت معين طالبين الخلاص من الحراس والحاكم والنجاة بحريتهم، وقد أخفوا هذا السر عن روسند (ماري) وسيلهم لما لاحظوه من علاقات الصداقة بينه وبين الحارس ديديه.

وهبّ السجناء يقتلون الحراس ويحطمون القيود، وطلبت ماري بأمر الثورة فأسرعت تريد الاتصال بالحارس فوصلت اليه في الوقت المناسب اذ كان أحد السجناء يهم بأن يهوي عليه بمعوله لتلقت هي هذه الضربة القاتلة.

وسكتت ماري عن الكلام ونظرت الى الطبيب نظرة يبثها من جراحها الدامية ألم مبرّح، ثم التفتت الى الطبيب وقالت: إن نشوة الفرح التي تغمرني ستجعلني أتحمل آلام الموت وعذابه وقد أنقذتها منه.

من شهيرات النساء

ايلين سالسبوري

زحف الملك ادوارد الثالث على رأس حملة تأديبية، بعد ان اشتد خطر العصابات الاسكتلندية التي كانت تهدد حدود انجلترا، وكثيراً ما كانت تغير من السلدان الواقعة على الحدود الانجليزية فتقتل سكانها الآمنين وتنهب كل ما هو ثمين.

وسار الجيش الانجليزي حتى وصل الى قلعة سالسبوري التي حاصرتها العصابات الاسكتلندية فترة طويلة من الزمن، كما وقع قائدها الكونت سالسبوري أسيراً في قبضة العصابات الاسكتلندية، ولكن زوجه ايلين ظلت تدير القتال وتضع الخطط الحربية بدلاً من زوجها الاسير، كما أخذت تبث روح الاستشهاد والاستبسال في رجالها، حتى وصلت الجيوش الانجليزية وعلى رأسها الملك ادوارد الثالث، فتمكنت بالعصابات المحاصرة وتمكن من فك الحصار عن القلعة.

وأمر الملك رجاله بأن يضربوا معسكرهم من حول القلعة، دون أن ينزل عند ايلين ضيفاً هو وبعض قواد النظام حتى يزول خطر العصابات الاسكتلندية تماماً ويسود السلام وتعود الطمأنينة.

ورحبت ايلين بقدوم الملك وأقامت مأدبة فاخرة عند شرف الملك تكلفتها ولم يكن الملك قد رأى ايلين من قبل فما كادت تدخل عليهم قاعة الضيافة وقد ارتدت كل ما هو فاخر وثمين، وكشفت عن محاسن جمالها وسحر عينيها، حتى أخذ الملك يحدثها ويتقرب إليها ويدير حديثه في مواضيع شتى، حتى انتهى الى التحدث عن الحب، والسلطة والقدرة!!

وشعرت ايلين بما يدور في خلد ضيفها الكريم فأسفت أشد الأسف لصد الملك وسادها تفكير الملك بخيانة زوجها التي لولاها لتمكنت العصابات الاسكتلندية من تهديد عاصمة ملكه.

وما ان انتهت المأدبة حتى طلب ادوارد الثالث من سيدة القلعة ان تقابله في الحديقة .

وفي خلوة وتحت شجيرة مورقة مثمرة جلسا يتحدثان عن الطبيعة ولكن ايلين لاحظت ارتباك الملك ، وفهمت أن هناك شيئاً آخر يريد الملك ان يفضي اليها به .

وأمسك الملك بيد ايلين وأخذ يصارحها بمقدار الحب الذي يكنه قلبه نحوها من أول نظرة ، وانه لن يبرح هذا المكان ولن ينجي زوجها من الاسر إلاَّ بعد أن يفوز بوعد منها .

ووقفت المرأة ، ثم تراجعت خطوات ونكست رأسها ثم قالت .

« مولاي صاحب الجلالة : بالرغم من انك تريد ان تنحق الأذى والعار بأسرة بذلت في سبيلك كل غالٍ ونفيس ، فإني لا أريد ان ألحق بك أية اهانة ، ولذا فإني صاحذك كل كلمة تفوهت بها على محل المزاح لا الجد »

واضطربت الملكة حيرة عند ما سمع ردًّا لم يكن في الحسبان ، فأطرق قليلاً ثم قال : « لنلعب إذن الشطرنج » ثم خلع خاتماً ثميناً من يده وقال : « ضعي شيئاً في مقابل هذا الخاتم وسنتقامر عليهما ، وهما لمن يربح »

فقالت ايلين : ومن أين لي بشيء يوازي في قيمته هذا الخاتم الثمين ؟

فأجاب الملك : ضعي أي شيء مهما كان تافهاً ، وأجابت ايلين رغبة الملك فخلعت خاتماً ثميناً من يدها ووضعته بجانب خاتم الملك .

وأدركت ايلين ان الملك يحاول جاهداً أن يخسر الرهان لكي يترك لها خاتمه تذكاراً وأملاً في ان تتذكره ايلين كلما نظرت الى خاتمه في أصبعها .

* * *

وانتهى الدور بأن خسر الملك كما كان يريد فأخذ خاتمه من فوق المنضدة وحاول أن يضعه في أصبع ايلين ، ولكنها سحبت يدها قائلةً : « لا يسعني يا مولاي ان أقبل هذه الهدية » وظهرت عليها علائم الغضب فبادرها الملك قائلاً « انك تتعمدين احتقاري . أنسيت إني سيد البلاد وسيدك ، وارادتي نافذة في كل مكان » ؟

فقالت ايلين : « إني أعلم ذلك يا مولاي وتراني دائماً مستعدة لخدمتك على ان لا يكون

أحدث أزياء فصل الخريف

شكل — ١

شكل — ٢

شكل — ٣

شكل — ٤

أحدث أزياء
فصل الخريف

شكل — ٥

في ذلك ما يسيء الى سمعتي وسمعتك ويلحق عاراً بشرفي وشرفك » .

— « ولكنني أريد أن تأخذي هذا الخاتم تذكاراً مني قبل رحيلي » .

— « ان ذكرى تشريفك لتلمعتي هي أثمن ما أحتفظ به كذكرى ، وأرجو أن لا تضيف الى هذه التذكرى شيئاً ماديًا يشوّه جمالها » .

وشعر الملك بأنه أندم على فعلة شنعاء وعزم على أن يكفر عنها على مدى الأيام .

* * *

وفي الصباح رحل الملك لمهاجمة أعدائه فأنزل بهم هزيمة منكرة ووافته الأخبار بأن السرعوت زوج ايلين ما زال في قبضة الأعداء وأنهم يطلبون مبلغاً ضخماً فدية عنه حتى يطلق سراحه .

ورجع الملك الى القلعة ، ولكنه لم يشأ أن ينزل ضيفاً على ايلين ، بل أرسل اليها رسولاً يبلغها هذه الأخبار ويطمئنها بأنه سيأمر بدفع الفدية حال وصوله الى طاعة ملكه ليعملوا سراح زوجها الكونت الشجاع .

* * *

وأمر الملك بدفع الفدية وأنقذ من الأسر زوج المرأة التي أحبها وطمع فيها فتابلت حسه وطمعه بأنفة وإباء وحافظت على شرفها دون أن تخشى بطش الملك وغضبه .

بأندي متراس

أنشودة البراهمة الوطنية

البراهمة من أشد الامم تعلقاً بوطنهم ولهم أنشودة يسمونها « بأندي متراس » معناها « السلام لك يا أمنا » أنشدوها في أثناء ثورتهم على الانجليز سنة ١٩٠٥ وكان لها تأثير عظيم في نفوسهم هذا نصها :

« اسجد لك يا أماه . الفتية بالانهار والاثمار ونسيم الجنوب للنفس . حقولك خضر بالحصد . ليلك تتشح بنور القمر الفضي تكللك لاشجار الزهرة . ابتساماك تأنق كالنور . صوتك رخيم وألفاظك تتساقط كالجوهر البراق . أنت تسدين حاجاتنا . انت تنجدين الاصدقاء وتطردين الاعداء . أنت مقاتلة شجاك . أسجد لك . أنت الحكمة . أنت الدين . أنت القلب . من أنت سميم قلوبنا ومجرى أنفاسنا . وقوة سواعدنا نتعبد لذاتك في هياكلنا . إنك إلهة « درغا » تحملين عشرة أسنة بيدك . أنت « لكشمي » إلهة السعادة : تتهادين في بحيرة الجيلوف . أنت سارة سواتي (إلهة العلم) . أسجد لك أيتها الام الطاهرة الجميلة الباسمة المحاطة بالزهارة بالجواهر » .

ومن أروع أناشيدهم في الصلاة ما يلي :

« يا إلهي . إنك كثير الاسماء بلا إسم . كثير الاشكال بلا شكل . العامة وأصواتك على آلافها . أتصل صلاتي في خلال كل ذرة من ذرات الوجود . ارتق بهذه الارض المقدسة مهبط القديسين والابرار . أرض التلال المباركة والبحار المقدسة والاحراج الفضة للظلمة ، والسهول الفسيحة للشرقة . إنها مجد الشرق القديم ومساكنه . يا وطننا ومستقر دروسنا . يا بلاد المشمد . تتألق شعوبك ويكرم بعضها بعضاً بهدوء وسكينة . امنحها يا إلهنا السلام الذي لا تقدر الدنيا أن تمنحه . أعطها السعادة التي تجيز الثروة عنها . لتعمل كل واحد لنفسه وللجميع . يشتغل ويدع الناس يشتغلون . يعيش ويدع الناس يعيشون » .

الطفل ومراحل نموه

من الخامسة الى الثانية عشرة

هذه مرحلة إتقان تخبرات والمهارات اللغوية والحركية والعقلية السابق اكتسابها. وبهذا ننتقل هنا تدريجيًّا من مرحلة التكسب الى مرحلة الاتقان. والطفل في هذه المرحلة ثابت، قليل المشكلات الانفعالية، كثير النشاط. ويميل في منتصف هذه المرحلة الى الانتقال من مرحلة الخيال والايهام والتمثيل الى مرحلة الواقعية، فالطفل من سنّ ٥ الى سنّ ١٢ يخلق عملي، واقعي، ثابت وفرقر من النشاط. ويميل الى جمع الاشياء وادخارها، وتنظيمها. ويميل ميلاً شديداً الى الملكية التي تبدأ تنمو قبل ذلك بكثير، وينجه قرب نهاية المرحلة الى الانضمام الى الجماعات المنظمة، بعد أن كان يميل ميلاً شديداً قبل ذلك لمجرد الاجتماع بين هم في سنّه. ويحب التنافس والتفاخر في الجدية والحركية بنوع خاص

ولما كانت هذه المرحلة مرحلة إتقان لما سبق كسبه من حركة ولغة وتفكير، فيمكن الاكثار في المدارس من دروس الاشعار، والموسيقى، والغناء، والاناشيد، والالعاب الجمية، والرقص والتمثيل. وغير ذلك. فهذه كلها تشبع في نفس الطفل الحاجة الى الاتقان والتنافس والشعور الواقعي بالنجاح.

ويقسم بعض الباحثين هذه المرحلة مرحلتين: إحداهما تنتهي في سنّ الثامنة، والاخرى تنتهي في سنّ الثانية عشرة تقريباً. والمرحلة الاولى استمرار للمرحلة السابقة فهي كما قلنا مواصلة للنموّ الحركي، وزيادة فهم العالم المحيط بعناصره المادية والاجتماعية. وهي مرحلة يبدأ فيها ظهور بعض مبادىء الاستقرار الانتقالي. وأما المرحلة الثانية التي تبدأ من سنّ الثامنة وتنتهي في العاشرة. فهي مرحلة لاستقرار في النموّ الجماني، ولاستقرار في الحياة الانفعالية. وهي مرحلة أتقان المهارات الحركية، والعقلية، وتكون فيها القدرة على الاستفادة من المرانة والتكرار كبيرة جداً. وهي كما قلنا مرحلة واقعية، والاصرار على التمسك بالحقيقة فيضعف عندها التلذذ من اللعب الايهامي. ويبدأ الاهتمام باللعب والتمثيل القريبين من الواقعية. والطفل في هذه المرحلة يحب اللعب الجمعي، ولو أنه لا يهتم باللعب الجمعي المنظم في شكل فرق اهتماماً كبيراً إلا في أخريات المرحلة. وتبدأ الاتجاهات

الاجتماعية تظهر في هذه المرحلة كالزعامة أو التبعية أو الميل للمساجدة أو الميل للعنوة أو الميل الاستبدادي أو حب التحكم أو غير ذلك وهي مرحلة قليلة المشكلات في العادة إذا قورنت بالمرحلة التي قبلها والتي بعدها. ولكن المشاكل لا تلبث أن تظهر إذا أهملنا خصائص الطفل في هذه المرحلة من ميل إلى الكشف والمعرفة والتجول والمخاطرة والمصادمة واهتمام بالعالم الخارجي من حوله وشغف اهتماماً لم يسبق له عنده مثيل.

* * *

وبطء النمو الجسماني في هذه المرحلة يجعل الطفل حسن الصحة قليل التأثيرية للتعب شديد الميل للحركة والنشاط، قادراً على التعلم وعلى مواصلة العمل ساعات طويلة.

أما من الناحية العقلية فكل القوى العقلية من تذكر وتفكير وانتباه وغير ذلك تبدأ تنضج في هذه المرحلة خصوصاً بعد سن التاسعة. ولذلك يرى علماء النفس أن الفكرة القديمة القائمة على أن يحفظ الطفل حفظاً آلياً كثيراً من مواد الدراسة في هذه المرحلة، خصوصاً قبل العاشرة فكرة خاطئة، ويجب الاعتماد على البحث والتفكير وعلى الذاكرة المنطقية وعلى تحفيز الطفل للعمل والتفكير عن طريق ميوله ومصادر الشوق لديه.

المرحلة من سن ١٢ الى سن الرشد

تنتهي الطفولة عادة عند سن الحادية عشرة أو الثانية عشرة تقريباً ويبدأ الفرد يدخل بعد ذلك في دور جديد تظهر فيه لغير ذوي الكثيرة بعضها ظاهر وبعضها خفي. ومن التغيرات الظاهرة مثلاً استطالة القامة وبدء نمو الشعر على العانة وعلى الشفة العليا عند الولد، وينمو الشعر كذلك على العانة وحول الأعضاء التناسلية، وتحت الإبط عند كل من الولد والبنت، وتنمو بعض أعضاء الجسم بنسب

قواعد ذهبية

من يريد أن يحفظ صحته

سيدتي: أنت المسئولة عن صحة أولادك وأهل منزلك وعليك أن تحملهم على اتباع النصائح التالية:

١ — الأكل ثلاث مرات في اليوم وفي أوقات معينة. وجعل طعام العشاء خفيفاً.

٢ — الاقتصاد في ألوان الطعام. وضع الطعام جيداً وتحاشي الأطعمة التي تثقل المعدة.

٣ — عدم تناول شيء من المنبهات التي تضر المعدة مثل المخدرات والأشربة الروحية أو الأدوية ونحوها إلا دواء عند الحاجة إليها.

٤ — عدم تناول شيء بين وجبات الطعام.

٥ — الاكثار من الخضروات طبخاً والفواكه صيفاً.

٦ — الراحة بعد الطعام لا استلقاء تماماً.

٧ — اتقاء البرد بعد الدفء.

٨ — الاعتدال والتعفف في كل شيء.

٩ — النوم مبكراً.

١٠ — الألعاب الرياضية مرعية.

١١ — تجنب المناقع الطبية بقدر الامكان.

١٢ — الاهتمام بالنظافة البدنية.

تختلف عن النسب التي كانت تنمو بها قبل ذلك. والذي عند البنت مثال من هذا النوع من النمو. ومن الظواهر الخاصة بدء تضخم الصوت عند البنين، ومرحلة الانتقال يتكسر فيها الصوت عادة بين الرفيع وغير الرفيع. أما التغيرات الجنسية فأهمها ما يطرأ على بعض الغدد من ضمور كما يحدث في الغدد التيموسية والتنوبرية وما يطرأ على بعض الغدد الأخرى من نمو ونشاط كما يحدث في الغدة النخامية والغدد التناسلية. وافرازات الغدد ترجع إليها التغيرات الجسمانية الظاهرة التي أشرنا اليها كما يرجع كثير من الظواهر النفسية التي تظهر في هذا الدور.

* * *

وهذه المرحلة على وجه العموم مرحلة نمو سريع في الوزن، والطول، ويصحبها مؤقتاً شيء من رعونة الحركة وفقدان بعض الدقة والتوازن في الحركات.

ويتبع من هذه المظاهر وما يشابهها حساسية شديدة في النشء وحالات انفعالية تحتاج الى رعاية.

فبعض البنات والأولاد يخافون على أنفسهم خوفاً شديداً إذ يظنون أن هذا النمو قد يستمر استمراراً مطرداً.

وبعضهم يعثرون على أطراف أصابعهم حتى لا يرجئوا المكان ويزعجوا من فيه.

وبعضهم لا يجرأ على التكلم أمام الناس لعدم ثقتهم في أصواتهم انكانت ستخرج رفيعة وغير رفيعة.

* * *

وخلاصة القول ان العقل في هذه المرحلة ينتقل من الطفولة الى اكتمال النمو.

وعلى هذا فالمعبر الواقع بين المرحلتين هو التأمل في دور المراهقة والبلوغ وهي مرحلة مليئة بالصعاب بالنسبة للناشيء، ويكون فيها الفرد في أشد الحاجة الى المعونة ممن حوله.

أقوال في المرأة

— تتأنق المرأة من أجل امرأة أخرى. وتتزوج لأن غيرها سبقها الى الزواج.. وتبكي بمفردها لتبدو نظيفة أمام زائراتها.. ولولا هذا لكان للمرأة شأن آخر.....

« تحول كوراي »

— المرأة مخلوق عجيب غامض ... تزعم أنها تريد فروداً تمنياً ليقيها البرد في الشتاء، بينما هي تخرج بجراوب من الحرير الملتف الشفاف وحذاء مكشوف.

« هنري ليتل »

— يعتقد الرجل أن المرأة خلقت لكي تنصت الى آرائه في كل موضوع.

« برلستن »

— من مصائب الزمن أن المرأة تتغلب بسهولة على ارهاق السخفاء إذا أرادت الشر لهم. أما إذا بحثت عن الظرفاء فانها تظفر بأحدهم.

— يقول الفرنسي: أنا أعرف فلانة اذا قبلها والامريكي إذا ضربها. والانجليزي إذا هجرت له بطرف عينها اليسرى — أما المصري فيؤكد معرفته لأية فتاة قابلت نظراته نظراتها وهي مطلة من الشباك.

هيلما دانون

باب المراسلة والمناظرة

تعليق على مقالين

نشرت المقتطف الغراء بعددها الصادر في يونيو من هذه السنة ، مقالين نتيجة أحدهما لسعادة محمد جميل بيهم بك بحث وشرح فيه عن علاقة المشابهة بين حضارة مصر القديمة والبابليين والفنود وبين حضارة المكسيك قديماً . وكان البحث طريفاً في موضوعه جداً . وأما المقال الثاني فهو بقلم الكاتب العلمي الفاضل عوض جندي ، وفيه يؤكد القول بوجود الراداز لا أشعته . وفي ثنايا مقاله يشرح الكاتب كيفية وصفاً علمياً لتراداز وبراعته بطريقته المعهودة في تبسيط الحقائق العلمية العويصة ، تلك الطريقة التي لا يتوانى قراء المقتطف والبحث العلمية المشهورة في العالم الغربي . وإني على غير تفكيري في تعليق على المقالين . وقد أكون على صواب أو أجيد منه .

﴿ مصر القديمة والمكسيك ﴾ بعد أن يستطرد سعادة الفضال (محمد جميل بيهم بك) في شرح أوجه الشبه بين الحضارة المكسيكية التي شاهد بقاياها عياناً ، والتي وجد تقويمها وكتابتها التي تشبه الطيروغليفية وأزياء أهلها تشبه أزياء المصريين القدماء ، ووجد أهراماتها تحاكي إهرامات مصر مع فارق قليل من حيث تمرج السطح ، بعد المقارنة الناصحة يقول سعادته : « ولعل أدوات الاتصال بين أجزاء الأرض في عهد قديم كانت أرقى من اليوم والمراكب ذوات الأشرعة . وما يدرينا إذا كانت حكاية بساط الريح وليدة حقيقة أضاع الزمان معالمها ولم يبق منها يتناقل على الألسن أصبح من قبيل أسطورة من الأساطير » .

وإني قبل أن أدلي برأيي أرى لزاماً أن أبدي رأي العلامة المرحوم الأب انستاس الكرملي ، فهذا أيضاً كتب في المقتطف مؤكداً أن العرب قد اكتشفوا أمريكا قبل كولومبوس . وكان دليله في ذلك وجود أسماء حيوانات ترجع بأصل تسميتها الى اللغة العربية مثل (القنغر Kangaro) (الكانجرو) (الجيم المصرية) فيقطع الأب هذه الكلمة الى كلمتين كان جرو) أي (كان جروا) . ومن طبيعة هذا الحيوان أن تتكون اجراؤه في كيس بجسمه فينقلها حيث يشاء . وتعلم رت الجملة العربية عند الأمريكيين القدماء لفظة الى (الكانجرو) أي الى كلمة واحدة . ومن جملة من ردّ على الأب انستاس برد مستفيض بالحقائق العلمية هو الأستاذ الفاضل (حنا خباز) وحتى إنه (حنا) قرر أن العرب قديماً يتشوفون البحر ولا يجسرون على السفر فيه الى مسافات شاسعة نسبية . وقد استشهد على ذلك بقول شاعرهم .

لا أركب البحر إني أخافه منه المعاطب
طينٌ أما وهو ماءٌ والطين في الماء ذاهب

ولكن رؤية صاحب المعادة (جميل بيهم بك) لحضارة المكسيك وعلاقتها بالشرق العربي تقدم الغرب والوقوف عند رأي الآب الستاس كما تجعل الفرد المدقق ينتجم الطرق للاستدلال على إمكانية اتصال الشرق بالغرب بالطرق البراصلات الراقية والخيالية كبساط الريح بل بطريقة أخرى ترد أصولها الى طبيعة العالم وقراراته في الأزمنة السحيقة في القدم . وهنا لا بد وأن يولي المرء وجهه شطر علم الفلك والجيولوجيا لمعرفة تطوُّر الأرض ومكان القارات بعضها بالنسبة لبعض ، وهل كان على ما هو عليه الآن ؟

يقول العالم (جورج داروز) إن القمر انفصل من الأرض وترك هوَّة عميقة تزحلق إليها قسم من الربع الباقي من الأرض . ويؤيده في قوله كثير من العلماء في وقته . ويقول العالم « فاجنر » الألماني في تكوين القارات ، مستنداً إلى علم الطبيعة والجيولوجيا والنبات والحيوان أن في العصر الجيولوجي الثاني أي قبل ٥٠٠ مليون سنة كانت القارات كتلة واحدة وهي من العصور انقسمت الى كتلتين شرقية وغربية ، فالغربية تشمل الأمريكتين ، والشرقية الباقي . والقارة الكتلة الغربية وكأنها تسير طافية على مادة مائعة ، وفي أثناء سيرها غرباً تجمعت أقسامها الغربية بفعل المقاومة فكوَّنت جبال روكي الصخرية والأنديز وغيرها من جبال أمريكا فالهوَّة التي بقيت بينها في البحار كهوَّة القمر التي كوَّنت (الباسيفيك) حسب رأي جورج داروز المذكور . وإن الناظر الى وجهها متجمعة حسب رأي (فاجنر) ومتفرقة يجد أن اسبانيا وغرب أفريقا يتداخلان لا بل يمكن أن ينطبقا بما فيهما من نتوءات مع شرق أمريكا الجنوبية وشرق أمريكا الشمالية حتى شمال المكسيك . وكأنما اسبانيا قد انتطعت من خليج المكسيك فتشبه بحجمها سدّاً له . وغربي أوربا ينطبق على القسم الشرقي من أمريكا ، وشرق أوربا من الشمال الى الجنوب يتصل بغرب آسيا واستراليا . ومن الثابت تاريخيًّا أن البحر الأبيض المتوسط كان عبارة عن مستنقعات تخللها أحراج النباتات والغابات وبعض الجبال وتسرح فيها عير الوحش والحيوانات الأخرى كفرس البحر . ولم يكن مضيق (سبتة) جبل طارق . ولكن في طور من أطوار الزمن انفتق هذا المضيق وتدفقت مياه الأطلسي شرقاً فكوَّنت البحر المتوسط ، وما بقي من رؤوس الجبال عبر الجزر الباقية الآن فيه كالأرخبيل اليوناني وقبرص وكريت وقورسيقا وسردنية وصقلية وجزر البالياو وغيرها . ومن هنا نترصل الى القول بأنه يمكن أن يكون الاتصال بين أمم العالم القديم بوساطة أدوات وطرق المواصلات البدائية لأن البراذخ الأرضية كثيرة وعمليات الجفاف

والغير مستمرة ومتبدلة من مكان الى مكان. وأن البحار لم تكن بهذه السعة ولكن عوامل التآكل والتعرية الجيولوجية هي التي أوصلتها بصورتها التوحيدية التي وصلت اليه الآن. وإذن فلا مانع من تشابه الحفاوات، وتبادل الكلمات، ولا غرابة إذن في مشابهة «بهر» و«الكرمل» على هذا الأساس. أما على أساس الرقي العقلي المفروض فلا يستند الى التطور ولا الى العلم ولا الى حقيقة التطور الجسمي والعقلي في الانسان، إذ أن الانسان كما تنتهي بنا به الى الوراء آلاف السنين نجد عقله منحطاً خلقة ومحبرة لانه أقرب الى الحيوان منه الى الانسان. فمن أين يأتيه الابتكار.

﴿الأشعة والموج﴾ لا شك اننا نعيش في بحر من الهواء كما نعيش الأسماك في بحر من الماء. فكل حركة من الكلام الى المشي تحرك الهواء. وكذلك الاجرام في أفلاكها تموج ما حواليها من المادة اللطيفة. وأشعة الشمس وغيرها من الأجسام المشعة تصل الينا بصورة أمواج، فالضوء يصل على وسيط الأثير. وكذلك الأشعة السينية وأشعة الأجسام المشعة كلها تسير بصورة موجية. وإذن فالكون كله أمواج في أمواج. وكثيراً ما نقرأ في الكتب هذه العبارة (أشعة اكس وهي موجات) (الأشعة اللاسلكية وهي أمواج) وأشعة الرادار هي أيضاً بدورها أمواج. وإذن فلا يوجد مجال لسوء التعبير بين أشعة أو أمواج لأن الاشعاع معناه الانطلاق — من جسم مشع — لدقائق المادة أو الطاقة أو من جسم غير مشع، لكنه يحتوي على مادة تشعشع ضوءاً وحرارة وغيرها من صنوف الاشعاع فالرادار جهاز تنطلق منه أشعة لاسلكية وبما أن كل أشعة تسير سيراً موجياً فلا أمس اذا ما سميناها أمواجاً أو أشعة. هذا من جهة العلم. أما من جهة المجاز فيجوز أن أسمي الأمواج أشعة والأشعة أمواجاً لعلاقة المشابهة في القوام والسير. فكثيراً ما يقال يشع الفضل من أعطاف فلان أو تموج عواطفه رقة. وكذلك في قول الشريف الرضي

بروق تشعشع في سواد ذؤابتي لا أستضيء به ولا أستصبح

فسمي الشيب بالضوء مجازاً لعلاقة المشابهة. وكذلك في قول المتنبي:

قامت تظللني من الشمس نفس أعز علي من نفسي
قامت تظللني ومن عجب شمس تظللني من الشمس

فاحدى الشمسين كما هو ظاهر (قرد) والشمس الثانية حقيقة، وأكثر التسمية في اللغة العربية على المجاز اللغوي وقواعده. وعليه إني أرى أنه لا يغير العلم اذا ما قال واحد أشعة الرادار أو أمواج الرادار اللاسلكي لأن الأشعة أمواج علماً ومجازاً.

البصرة — العراق سمير الصفار

مكتبة المقتطف

معجم الأحلام

تأليف الاستاذ اسبيرو جبري — صفحاته ١٦٠ من قطع المقتطف على ورق جيد — الثمن ٤٠ قرشاً
طبع بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر

الحلم ظاهرة هي أعمق الظاهرات العقلية وأغربها. يعمل فيها البصر والسمع، ولكن لا تستعمل فيها العين ولا الأذن لانهما مقفلتان بقفل النوم. يشاهد الحالم الأشياء والأشباح، ويرى الأبنية والفياض والأشجار والبحار الخ. ويسمع الأصوات والأنغام وهو يعتقد أنه أبصر وسمع. ولكن لا عيناه رأتا ولا أذناه أصغتا لكي تكتب هذا الظن، أو تبلغ ذهنه أن ما رآه وسمعه لم يكن حقيقة، ما كان إلا وهماً. وقد يكون الحلم من الوضوح والجلاء بحيث أنه اذا تذكره الحالم بعد زمن طويل اعتقد أنه كان حقيقة لا وهماً. فاذا حلم مثلاً أنه حفر حقلاً ورأى فلاناً وفلاناً وسمع كيت وكيت بعد حين يتذكر هذا الحلم وهو يعتقد أنه كان حادثاً حقيقياً لا حلماً. أعني أنه يختلط فيه الوهم بالحقيقة اختلاط النوم باليقظة

لذلك عد الأحلام من جوهريات الخواص العقلية التي تستوجب دراسة عميقة لتفسير ما فيها من حيرة وابهام ولتعليل اسبابها ونتائجها التي حار فيها المفكرون وتهوّل فيها المعلمون وأمعنوا في تفسيرها كأنهم يستخرجون من أوهامها حقائق. فلذلك ما من عالم أو فيلسوف إلا خاض غمارها لاستكناه أسرارها. والتكبير مغرم عادة باستجلاء الأسرار.

قرأت في الآونة الأخيرة كتاباً موضوع الأحلام للعلامة الأستاذ اسبيرو جبري المحرّر بالمقطم والمقتطف بحث فيه بحثاً علمياً وتوسع فيه توسعاً تناول كل الحية من نواحيه ولم يترك فيه وجهة إلا استوفى البحث فيها. واستند في بحوثه القيمة على ما كتبه جلة العلماء والفلاسفة الأقدمين والمتأخرين. واستمدّ معلوماته المدة من مقالات أقطاب العلماء والفلاسفة أمثال العلامة سيجموند فرويد المشهور والفيلسوف السير اوليفر لدج والعالم سنت الذي كان صاحب مجلة المجلات والعلامة برار دي بروا وزي الصنبولزم وللعلامة نيوتن

وتيرفيل فايقر عن تأثير الحشيش المخدر والدكتور جردون في أحلام الطيور ، وروماتس في حلم الكلاب، وثمسون في أحلام الحيوانات والأستاذ ستانلي في أحلام الصبيان وكثر سكوت في أسرار الأحلام . وأخيراً أورد فصلاً برمته في هذا الموضوع للفيلسوف برغسن المشهور واستشهد بكثيرين من السابقين واللاحقين حتى أنه جمع زبدة ما لاح في أذهان البحاثة في هذا الموضوع وأورد ماورد في الكتب المقدسة من الأحلام وهكذا لم يترك شاردة ولا واردة إلا أتبعها لكتابه .

ثم اتبع هذه البحوث القيمة بعجم عن تفاسير الأحلام منقولة عن كثيرين من الثقات الذين جمعوا قصص الأحلام وحاولوا تفسيرها وتحقيقها بالأحداث الماضية والمستقبلة ورتبها حسب ترتيب الحروف الهجائية .

وقصارى القول أن هذا الموضوع الذي يحسبه معظم الناس أوهاماً لا يستحق الالتفات اليها ، يتجلى لك في هذا الكتاب عظيم الأهمية وانه من جوهريات حياة الانسان . كيف لا وهو من أغرب الظاهرات العقلية التي تشغل بال الانسان . فمن يشاء أن يلم بفلسفة الاحلام ويميز بين الحقائق والأوهام فعليه بهذا السفر النفيس.

نقولا الحداد

قصة الذرة

للاستاذ فوزي الشتوي — صفحاته ١٦٠ صفحة — طبع بمطبعة راشد بمصر — الثمن ٢٠ قرشاً

لا ريب في أن عصرنا الحالي هو عصر الذرة . فإن التاء القنبلة الذرية الأولى على هيروشيما كان نذيراً ببدء عصر جديد في أساليبه الاقتصادية والاجتماعية والحربية والصحية . وقد شهدنا حتى الآن أثر الاسلحة الذرية في السياسة الدولية، فلولاها لما تعقدت المسائل الدولية بشكلها الحالي .

وقد أقبل العلماء والأطباء على استخدام الاشعاعات الذرية في كثير من بحوثهم الطبية وقد وصل بعضهم الى نتائج حسنة في بعض الأمراض المستعصية ، فأطلعونا على كثير من أسرارها .

وتمكن الأستاذ فوزي الشتوي في كتابه الممتع من سرد حوادث البحوث العلمية الخاصة بالذرة في أسلوب قصصي بسيط يسهل فهمه على القارىء العادي ، وضمنه إلم بجميع المعلومات والنظريات اللازمة لتفهم صفحات الموضوع الشيق الذي أصبح ومن غير عصرنا الحالي والعصور القادمة .

زيادة الانتاج في الولايات المتحدة

أصدرت الادارة الاقتصادية بوزارة التجارة الأميركية بياناً جاء فيه أن القيمة الاجمالية للسلع التي انتجتها الولايات المتحدة ولخدمات التي قدمتها بلغت ما يساوي ٢٤٨٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار سنوياً في الربع الثاني من سنة ١٩١٨. ويزيد هذا المبلغ الذي يساوي قيمة انتاج البلاد السنوي بنحو ٢٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ على ما قدرته الوزارة عند انتهاء الأشهر الثلاثة الأولى من هذه السنة.

* * *

ومن العوامل الهامة التي أدت الى زيادة قيمة الانتاج زيادة المصروفات السنوية الخاصة بالاستهلاك الشخصي بنحو ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار بالنسبة لمختلف أنواع السلع ولخدمات. وزادت قيمة مشتريات الحكومة من البضائع وما تلقته من خدمات حتى زاد معدلها السنوي بأكثر من ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ دولار على المعدل السنوي في الربع الأول نظراً لزيادة مصروفات الحكومة لشراء السلع اللازمة لمساعدة الدول الأجنبية وتوسيع نطاق أعمال الانشاء المحلية وخاصة أعمال انشاء الطرق.

وقالت الوزارة في بيانها أن قيمة الأموال المخصصة المستثمرة في داخلية البلاد قد قلت بينما زادت قيمة مشتريات المبعدات النقية في الربع الثاني من السنة بنحو ١٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار على ما كانت عليه في الربع الأول. ويعزى ذلك الى كثرة المخزون من بضائع التجار والجملة.

* * *

وظلت الأموال مستثمرة في الخارج في الربع الثاني من السنة في المعدل السنوي البالغ ٤٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار التي قدر في الربع الأول من السنة.

وزادت جملة مبالغ الدخل الشخصي التي يشمل الأجور والمرتبات والأرباح العادية وأرباح الأسهم وأجور المحال والأملاك في الربع الثاني من السنة بنحو ٥٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار، أي أن معدلها السنوي بلغ نحو ٦٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار. ويرجع معظم الزيادة الى زيادة دخل المزارعين، كما حدثت زيادة أخرى في ميدان التجارة والصناعة.

وقد زاد الدخل الشخصي الذي يمكن التصرف به في الربع الثاني نظراً لتخفيف الحكومة لفئات ضريبة الدخل في شهر مايو الماضي. ومما يذكر أن زيادة الدخل الشخصي وتخفيض فئات الضرائب التي يدفعها المستهلكون مما ساعد ذوي الدخل في

خلال الربع الثاني على زيادة الانفاق بمعدل سنوي قدره ٣٠٠٠٠٠٠٠٠ دولار على معدل انفاقهم في الربع الأول، في حين إنهم احتفظوا بمدخرات شخصية في مستوى يزيد قليلاً على مدخراتهم في الربع الأول.

* * *

أما فيما يتعلق بميدان التجارة الخارجية فقد زادت كميات البضائع المصدرة في منطقتي الاحتلال الأمريكي والبريطاني في المانيا في النصف الأول من هذه السنة على جميع الكميات التي صدرت في سنة ١٩٤٧. وقد بلغت قيمة الصادرات في الأشهر الستة التي انتهت في يوم ٣٠ يونيو ٢٢٩٠٠٠٠٠٠ دولاراً، كما يؤخذ من بيان أذاعته ادارة التصدير والاستيراد المشتركة. ويزيد هذا المبلغ بنحو ٧٣٠٠٠٠٠٠ دولار على قيمة جميع صادرات السنة الماضية. وبلغت صادرات شهر يونيو سنة ١٩٤٨ نحو ٤٠٠٠٠٠٠٠ دولار منها ١٦٥٠٠٠٠٠ دولار قيمة مصنوعات. وهذه القيمة أكبر قيمة لصادرات المصنوعات في شهر واحد بعد انتهاء الحرب.

* * *

وورد في البيان ان الحالة الاقتصادية في المنطقتين كانت في شهر يونيو، بصفة عامة، غير مستقرة نظراً لاصلاح نظام العملة الذي أدى في البداية الى اضطراب الاعمال في الدوائر الصناعية وزيادة عدد العاطلين.

ومع ذلك صرح الجنرال لوشيوس كلاي الحاكم العسكري الأمريكي في المانيا، في اجتماع صحفي عقد بواشنطن في شهر يوليو الماضي، بأن اصلاح نظام العملة في مناطق الاحتلال الغربية قد ساعد على انعاش الصناعات واستيعاب العاطلين بالتالي. وقال انه قضى على السوق السوداء وأدى الى عرض سلع على أرفف المتاجر لم تشاهد فيها من مدة طويلة. وأضاف الى ذلك قوله ان النتائج الأولى لاصلاح نظام العملة كانت حسنة الى درجة لم تكن متوقعة مطلقاً. فقد جعل للنقود قيمة لم تكن لها في السنوات الثلاث الماضية.

* * *

وأدى تحسن حالة التغذية في المنطقتين الى زيادة الانتاج. فقد بلغ وزن واردات المواد الغذائية في شهر يونيو ٧١٤٫٩٤ طناً أي ما يقرب من ضعف متوسط وزن الواردات الشهري في سنة ١٩٤٧.

* * *

وورد في البيان أيضاً ان تفكيك أجهزة المصانع الألمانية في منطقة الاحتلال الأمريكي لأغراض من ضمن تعويضات الحرب قد انتهى تماماً. ومعنى هذا ان طاقة المصانع الباقية ستستغل لانعاش غرب أوربا اقتصادياً.

وتضع أنات السوس بيضها في الثقوب الدقيقة التي تثقبها تلك الحشرة في نشرة الحبة لتدخل منها الى قلبها . وبعد ذلك تسد الحشرة تلك الثقوب بمادة ملاصقة حتى جفت السدّ الثقب تماماً وبدت الحبة كأنها سليمة من الداخل. وعندما توضع الحبة المصابة في الصفيحة المشار إليها آنفاً يداوَن ذلك الجزء المسدود بالمادة الملاصقة بالون الاحمر .

وقد أخذ أصحاب المطاحن في الولايات المتحدة يستخدمون تلك الوسيلة الجديدة لأنه لم يكن في استطاعتهم من قبل أن يميزوا الحبوب المصابة بالسوس إلاّ بعد طحنها . وكان الدقيق الذي يكتشف فيه سوس يستعمل لاطعام الماشية .

أما الآن وبعد اكتشاف الوسيلة الجديدة فإن أصحاب المطاحن لا يطحنون لاستهلاك الآدميين إلاّ الحبوب التي تثبت لهم التجربة أنها خالية من السوس .

وقد أكدت هذه الوسيلة أهمية صيانة الحبوب المخزونة في المزارع من الحشرات. فقد ثبت ان الحشرات تستهلك من حبوب الزرّاع المخزونة ما لا يقل عن ٥ ٪ . ولهذا قام علماء وزارة الزراعة الأمريكية بتجارب واسعة النطاق لارشاد الزرّاع عن خير الوسائل لتخزين الحبوب، وأبلغتهم تفاصيلها وتشمل هذه الارشادات أحسن الطرق لبناء الصوامع ونوع المواد القاتلة للحشرات ومقدارها وكيفية استعمالها لرش الجدران وأرض هذه الصوامع الخشبية .

وتأمل وزارة الزراعة عن طريق بحوثها وما تعده به الزرّاع من ارشادات ان توفر مقداراً أكبر من الحبوب اللازمة لحاجات العالم.

تأثير الاشعاع الذري على الحيوان والنبات

بعد تجربة القنبلة الذرية

تعد جماعة من العلماء الأمريكيين برئاسة الدكتور لورين دوالدسون ، مدير معمل مصايد الاسماك بجامعة واشنطن ، تقريراً عن تأثير الانفجارات الذرية على حياة الحيوان والنبات في منطقتي جزيرتي بيكيني وإنيويتوك المرجانيتين اللتين في وسط المحيط الهادي . وكانت لجنة الطاقة الذرية الأمريكية قد أرسلت أولئك العلماء الى هناك لمساعدة وزارة البحرية الامريكية . وهم من المدنيين . وعند ما ينتهي العلماء من دراستهم لما شاهدوه ويقررون نتائج بحوثهم ستذاع المعلومات التي لا يكون في اذاعتها خطر .

وكان الدكتور دوالدسون قد سافر من قبل الى جزيرة بيكيني على رأس بعثة علمية في صيف سنة ١٩٤٧ .

توليد وقود من الشمس

لتدفئة المنازل وادارة المصانع

أصاب العلماء تقدماً كبيراً في معرفة كيف يحول النبات الضوء والماء والمواد الكيماوية في التربة إلى غذاء له ، وعلى هدى هذا التقدم بدأ العلماء يفكرون في توليد طاقة شمسية وتحويلها الى وقود لتدفئة المنازل وادارة المصانع .

ومفتاح المشكلة هو الكلوروفيل (المادة الخضراء في النبات) . والمعروف ان الكلوروفيل هو المادة الوحيدة في الطبيعة ذات خاصية فريدة لتخزين الطاقة الشمسية في شكل موارد ذات فائدة . ويقول العلماء انه متى تم الوقوف على سر طاقة الكلوروفيل فستتوفر للانسانية موارد لا تنفد وتعود عليها بأحسن الفوائد .

ويقول أحد العلماء ان في الامكان توليد وقود يشبه الفحم والزيت بطريقة صناعية . وأشار الى أن البحوث الخاصة بتوليد الطاقة من الشمس مباشرة قد قطعت شوطاً بعيداً في طريق التقدم . ثم قال ان المواد النباتية في باطن الأرض تتحول الى زيت وفحم في عدة قرون طويلة بطريقة طبيعية ، فاذا نجحت هذه البحوث فقد يتمكن العلماء من تقصير تلك المدة الطويلة .

اصلاح خطأ

بعض أخطاء وردت في كتاب « عالم الذرة » الذي ألفه مشترك شهري بوليو وأوفسطس

الصواب في صفحة ٦	وسطر ١٦	الكون Cosmos
٤	١١	٢٤ بعضها في أفلاك
٤	١٤	٩ مع كهربين
٤	١٦	١٩ غير ثابتة
٤	٢٨	٢٣ ان القوة بالارج تساوي المادة بالجرام
٤	٢٨	٢٣ ٨٢٥
٤	٤٠	٦ الذي يزن ٢٣٨ يصبح وزنه ٢٣٩ وزنه ٩٣
٤	٨٨	الكتلة الأخيرة بلوتونيوم

فهرس الجزء الرابع

من المجلد الثالث عشر بعد المئة

٢٤٥ الروحانية وتطورها عند البدائيين وفي العصر القديم : اسماعيل مظهر
٢٥٢ الارشاد الاجتماعي وعلى أي أساس يجب أن يقوم : جمال الدين حمدي
٢٥٨ جيزيل ابنة الامبراطور شارلمان : ماري هندرسون : ترجمة الآنسة نعمت حسني
٢٦٩ طليطلة : محمد رجب البيلي (مصورة)
٢٧٧ ذكرى يوهان ليندهارد : لدجر كراج السويدي : ترجمة أبي سلمى
٢٨٠ صيد الاسفنج في خليج المكسيك : أمين عبده
٢٨٥ وصف العاصفة عند امرئ القيس وعند فرجيل : الاب فريد جحر العازوي
٢٩٢ المجتمع والسياسة في الادب المصري الحديث : هيراود ديون : ترجمة وديع فلسطين

٣٠٩ باب ملكة المرأة * وفاء امرأة . من شهيرات النساء : ايلين سالسبوري . بائعة ترام . أنشودة البرهة الوطنية . الطفل في مراحل نموه . قواعد ذهبية لمن يريد أن يحفظ صحته . أقوال في المرأة : السيدة انصاف مصمت
٣١٧ باب المراسلة والمناظرة * تعليق على مقالين : رشيد السعد
٣٢٠ مكتبة المقتطف * معجم الاعلام : تمثيلا الجماد . قصة القرة
٣٢٣ الاخبار العلمية * معهد التحريات الصناعية . صناعة نماذج الطائرات . اكتشاف علاج للحمى الراجعة . زيادة مطردة في انتاج المانيا من الصلب والفحم . زيادة الانتاج في الولايات المتحدة . لجنة استشارية اميركية لاستغلال المواد الذرية . برامج وزارة الزراعة الاميركية لمكافحة الحشرات الضارة بالحبوب . تأثير الاشعاع الذري على الحيوان والنبات بعد تجربة القنبلة الذرية . توليد وقود من النفس لتدفئة المنازل وادارة المصانع

ملحق المقتطف

١ — ٣٦ العجل الابيض : عن فولتير : ترجمة جلال مظهر

العجل الأبيض

ترجمة : عن فولتير

الفصل الاول

كيف قابلت الاميرة أمازيديا عجلاً

خرجت الاميرة أمازيديا إبنة ملك تنيس بمصر تتجوّل في طريق فلوايوم مع نسائها حاشيتها ، وقد ضمرها تأثر شديد فانحدر الدمع من عينيها الجميلتين . وكان سبب حزنها معروفاً ، أضف الى ذلك المخاوف التي أضمرتها حذر أن يكدر هذا الامر والدها الملك . وكان مامبرس العجوز خصي القراعة وساحرهم القديم الى جانبها في ذلك الحين ، فانه نادراً ما كان يفارقها ، فتدشهد ولادتها ، ثم تثقفها وعلمها كل ما كان يسمح به ، من علوم مصر لاميرة جميلة طاهرة الذيل . ولقد تساوت في أمازيديا درجتا العقل والجمال ، كما كان فيها من رقة العواطف ودقة الشعور ما يغشى على مفاتنها الجسمانية ، وأما هذه العواطف فقد حملتها كثيراً من التكاليف .

كانت الاميرة في الرابعة والعشرين ، ودانى مامبرس الثلاثة عشرة مئة ، وهو كما يعرف الجميع ذاك الذي كانت له تلك المجادلة الشهيرة مع موزيس ، حيث كان النصر الى حدّ بعيد مشكوكاً فيه بين هذين الفيلسوفين العميقين . ولئن سلم مامبرس في النهاية ، فذلك يرجع الى حماية القوة السماوية التي حابت مناقشه . فالتمست من الآلهة أن تقهر مامبرس !

عين أمازيس رائداً لابنته ، فحصر في ذلك كل عنايته مستعيناً بحكمته المجردة ، أما دموع أمازيديا الثائرة فكانت منار حنانه وشفقته .

قالت تناجي :

يا لعجب ، يا حبيبي ، يا صغيري ، يا حبيبي العزيز ! يا أعظم القاهرين ، يا أكمل الكاملين ، يا أجل الرجال ! إختفيت من العالم زهاء سبع سنين ، أي إلـه اختطفك من

أمازيديا الحنون ؟ أأنت لم تعد ؟ إعترفي بذلك أيها المصريون الحكماء ، ولكنك في حكم الميت بالنسبة اليّ ! أراني في هذه الدنيا وحيدة ، فكأنها قبر مجدب . بأية أعجوبة غادرة هجرت عرشك وحبيبتك ؟ ولئن كان عرشك أعظم عروش الدنيا فان ذلك أمراً قليل الغناء ، أما أن تهجرني ، فمن ذا الذي يعبدك ويهيم بك ! يا للعجب ، يا حبيبي ...

قال مامبرس خصي الفراعنة وساحرهم القديم « إنك لترتعدين خشية التفوه بهذا الاسم المشئوم ، قريباً يكشف عن سرك بعض نساء حاشيتك ، فكلهنّ شديدات الحقد عليك ، والواقع أن النساء البيبيات يتخلقن من إرضاء عواطف الأميرات المستاءات مثوبة ، لكن قد يتفق ان يكون بينهنّ فضولية ، أو خائنة مغرّرة . وتعلمين كذلك أن والدك قد أقسم بقتلك برغم حبه لك . ان ذلك الاسم المرعب يدور دائماً على شفتيك . وهذه شريعة قاسية ، غير أنك تفقهت بالحكمة المصرية ، فلا تجهلين طبعاً حكم النسان . تذكري بأن « هوفوقراط » أحد آلهتنا الصغار ، كان يضع أصبعه دائماً فوق شفتيه .

بكت أمازيديا الجميلة ثم صمتت .

تقدمت نحو شاطئ النيل تكتنفها الهموم ، وتساورها الشجون ، فلحظت من بعد وعقربة من غابة يشقها النهر ، إمرأة عجوزاً في أسمال وثة رمادية اللون ، تجلس من فوق رابية صغيرة ، والى جانبها أتان وكلب وقيس وأمامها حيّة لم تكن كباقي الحيات المألوفة فكانت عيناها وديعتان ، ومنظرها فاخر فاتن ، ومن إهابها تبدو أزهى الألوان وأبهجها ، ثمّ ثور كبير مغمور الى نصفه في النهر ، وعلى شجرة مجاورة جثم غراب وحمامة ، فبدى لأمازيديا أن هذه المخلوقات ، إنما مضت تتجاذب أطراف حديث هام .

قالت الأميرة بصوتٍ خافت « تتكلم هذه الحيوانات بغير شك عن غرامها . . »

* * *

أما العجوز فكانت ممسكة بسلسلة محلية من الذهب ، طرفها مثة ذراع ، ربط إليها حمل يرعى في المرج . أمّا هذا الحمل فأبيض متناسق جميل ، فيه رشاقة وخفة ، فكان من النادر وجود مثله . إنه في الحقيقة أجمل مثال شوهد بين أفراد نوعه ، فلا عجب « باسيفية » Pasiphæ ولا ذلك الذي تقمص المشتري صورته عندما حل أوروبا ، كانا ليقدرا بهذا

الحيوان الفاخر ، غير أننا لو قرنا به العجل الفأفاء الصغير الذي تقدمه إيزيس لكان جديراً أن يكون كنزاً يؤنسه أو يصادقه .

عندما رأى العجل الأميرة ، جرى نحوها ، بسرعة مهر عربي صغير ، ناسياً أذنيه فوق سهول وأنهار سانا Saana القديمة ليدنو من زوجته الحسناء التي تحتكم سوريا في فؤاده .

إستعملت المرأة كل ما لديها من قوة لتكبح جماح العجل ، وحاولت الأفعى أن تلسعه بصفيرها ، وتبعه الكلب وعض أطرافه الجميلة ، واعترضت الأتان طريقه وركلته ، أما الثور الكبير ، فانغمر في النيل ثم وثب ثانية من الماء مهدداً بإبتلاعه ، أما التيس فثبت في مكانه واجلاً يبدو عليه الفزع ، ورفرف الغراب فوق رأسه كأنه يريد أن يفقأ عينيه ، وشاركته الحمامة بدافع الفضول ، وأعربت له عن إستحسانها بهمسات عذبة .

أسلم هذا المنظر الخلاق مامبرس الى تأمل عميق ، بينما كان العجل قد بلغ الى حيث كانت الأميرة ، جاذباً من خلفه العجوز ، وبيدها السلسلة ، فتقوضت الأميرة وأخذ منها الرعب . أما العجل فحين بلغ الأميرة ، ألقى بنفسه عند قدميها وقبلهما ، فأنض الشكوى ، ثم نظر إليها بعينين يفيض منهما مزيج غريب من الأسى والفرح ، ولم يجرؤ على الحوار خشية أن يرعب أمازيديا الفاتنة ، وكذلك حُسِر عن الكلام اذ لم تسعفه القدرة الصوتية الواهنة التي وهبتها السماء لبعض المخلوقات . إلا أن كل حركاته كانت فصيحة بليغة ، فالشرحت الأميرة وأدركت أن اللهو والتسلي على تماهيها ، ربما خففا بعض الشيء حتى أعظم الأحزان مرارة وحدة .

قالت : هنا أكثر الحيوانات حبّاً الى قلبي ، وأرغب في لفة أن أتمسه خطيرتي .

لما سمع العجل هذه الكلمات إنحنى على ركبتيه وقبّل الأرض .

صاحت الأميرة : إنه يعي ما أقول ، ويبين لي أنه يرغب في أن أتملكه . عجباً أيها الساحر السماوي ! عجباً ! أيها الخصي المقدس ! إشتر هذا العجل الجميل ، إشتر على الفور مع العجوز التي لا أشك في أنه ليس ملكاً لها ، لابدّ وأن يكون هذا الحيوان ملكي ، وحجر ألا تحرمني هذه اللذة البريئة .

ضمّ جميع النساء أصواتهنّ الى توسلات الأميرة ، فاستسلم لهنّ مامبرس ، وترجه ليبحث العجوز .

الفصل الثاني

كيف تعرّف مامبرس على العجوز وكيف عرفته

قال مامبرس « إنك تعلمين يا سيدتي ، بأن السيدات وعلى الأخص الأميرات الصغيرات في حاجة الى التسلية ، وأن إبنة الملك مغرمة بحلك غراماً شديداً ، فأتوسل اليك أن تبيعيها إياه ، وسأدفع لك الثمن فوراً »

أجابت العجوز « إن الخير الى الكريم الخير ، لم يكن ملكاً لي يا سيدي ، وإنما هو أمانة في عنقي ، وعليّ ، على كل الحرص التي شاهدتها واجب ، هو أن نهتم به ، ونراقب جميع حركاته ، ثم نقدّم منها حساباً دقيقاً . وما الله الذي يكرمني في أي مثل في بيع هذا الحيوان الذي لا تقدّر له قيمة »

بدأ مامبرس في أثناء هذا الحديث يستعيد ذكرى مشوّشة ، لشيء لا زال غير مستبان تماماً ، ولم يتمكن من استيضاحه ، فنظر الى العجوز ذات الرداء الرمادي ، بكثير من الانتباه والدقة .

ثم قال « إما أن أكون مخطئاً أيتها السيدة المحترمة ، وإما أن أكون رأيتك قبل ذلك »

أجابت العجوز : « إني لا أعتقد ، فقد رأيتك منذ سبعمائة سنة ، في أثناء رحلة قمت بها من سوريا الى مصر ، بعد شهور قليلة من تدمير « طروادة » Troy وكان ذلك في الوقت الذي حكم فيه « بيرام الثاني » سوريا ، وفيفل كريس Nephel Kiris في مصر السفلى »

صاح الرجل العجوز : « يا للعجب ! أأنت إذن يا سيدتي ساحرة ؟ إنها لعجيبة العجيبة ؟ »

قالت الساحرة وهي تضاحكه ؟ وأنت أيها السيد ، ألست مامبرس مصر العظيم ؟ »

قال مامبرس : « يا للعجب ! إنه لقاء غير منتظر ، ويوم يستحق الذكرى ، تلك هي المقدّرات الأزلية . إن مقابلتنا مرة ثانية في هذا السهل على شطآن النيل بجوار مدينة

تنيس القضيمة ، لم تكن على وجه التأكيد بغير إذن من عناية الله الشاملة . واستطرد ماسرس قائلاً . ماذا أحقيقة أنك أنت التي ذاعت شهرتها وطبقت الآفاق على ضفاف نهر الأردن الصغير ، الذي هو نهرك ، وأنك أعظم شخصية في الدنيا طراً صيتها بأن هذا الصبي بعث أشباح الموتى ؟ »

أجابت الآنسة إندور : « ماذا ! أأنت ذاك الذي اشتهر بأنه يلمع النهار أثناء الليل والنهار ظلاماً ، وماء الأنهار دماء ؟ »

قال ماسرس « نعم يا سيدتي ، لكن خجب عني الكبر بعضاً من معرفتي وقوتي ، غير أني أجهل مصدر هذا العجل الجميل ، وما هي تلك الحيوانات التي تتمتع بدلك من حراسته بهذا الانتباه » .

رفعت العجوز عينيها الى السماء ، واستعادت ذاكراتها ثم قالت :

« إننا لذوي مهنة واحدة يا عزيزي ماسرس ، غير أنه محرم عليَّ كل تحريم ، أن أخبرك من أمر هذا العجل شيئاً ، لكن يمكن إرضاء رغبتك بالنسبة لباقي الحيوانات ، وقد يمكنك معرفتها بسهولة من العلامات التي تميزها . فهذه الحية هي التي أغرت حواء أن تأكل وزوجها تفاحة ، وهذه الأتان هي التي تحدثت الى معاصرك بلعام Balaam بالحديث العجيب الغريب ، وهذا الحوت الذي يرفع رأسه دائماً من فوق الماء ، هو الذي بلع يونس منذ ستين قليلة ، والكلب هو الذي تبع روفائيل وتوبيت الصغير في رحلتهما الى راجيا في مقاطعة ميديا في زمان سلمنزار الأكبر . وهذا القيس هو الذي كفَّر عن ذنوب ملكتك كليا . أما الغراب والحمامة فكانا في سفينة نوح . حوادث فذة ! نكبة كونية ! يكاد أكثر الناس على غير علم بها . أما العجل فلن تعلم عنه شيئاً » .

قال ماسرس وقد أصغى باحترام .

« يا للعجب أيتها الساحرة الأبدية الدائمة الصبا ! إن الأزليَّ ليكشف ويخفي ما يشاء له . إن كل هذه الحيوانات التي عهد لها بحماك بحراسة العجل الأبيض لا تعرف إلاَّ في مملكتك المحبوبة الكريمة ، التي هي نفسها غير معروفة تقريباً لجميع العالم ، إن الأعاجيب التي أنبأتها مع خاصتك ، وتلك التي قمت بها وحدك ، ستكون ذات يوم موضوعاً لتشكوك والمناحثات

بين الفلاسفة المدققين الباحثين ، لكن سينتبلها بكل سرور أولئك الذين يعتبرون الذين سوف يلزمون المتنورين بالخضوع لما في ركن مما من أركان العالم ، وما تزال في »

لما انتهى مامبرس من حديثه جذبته الأميرة من كمه قائلة :

« ألا تشتري محلي يا مامبرس » .

أوغل الساحر في عميق الفكر ولم يجب ، ولاحظت من هيئي أنا زوجها المستقبلة ، وتقدمت نحو العجوز قائلة أستحلفك يا سيدتي الفاضلة بكل ما تكنين في نفسك الشريفة من نفيس ، أستحلفك برائك ووالدتك وبموضعك التي لا تزال بكر تأكيد من أنيس الحياة ، أستحلفك بهم جميعاً ليس فقط لتبيعني محلك ، لكن حاملك أيضاً مهما تبدي شططاً كثيراً به » .

أما الحيوانات الأخرى فلا أريدها ، لكن أفضل كل مستعد إذا أنت لم تبيعي هذا العجل الفاتن الذي سيكون كل سعادتي في الحياة » .

« ليس العجل يا أميرة للبيع . أطرت بذلك ساحرك المسني ، وكل ما يمكن أن أفعله من أجلك هو صاحبي له بالرعي بجوار قصرك . فيمكنك أن تغذيه وتنتقي له فاكهة ، وترقصيه فيدخل في نفسك السرور ، لكن لا بد وأن يكون دائماً تحت أعين هذه الحيوانات جميعاً والتي عهد إليها معي بحراسته والسهر عليه . ولو أنه لم يسع للهرب ، إذن لكانوا مسالمين وادعين ، غير أنه لو حاول مرة ثانية أن يحطم سلسلته كما فعل عندما شاهدك ، فالويل له . ولن أكون حينئذ مسئولة عن حياته فسوف يبتلعه هذا الحوت بغير رفع ، ثم يحتفظ به أكثر من ثلاثة أيام في جوفه ، أو تبتلعه هذه الحية ، التي تلوح وادعة ، لدغة لينة » .

قبل العجل الأبيض التي فهم بوضوح حديث العجوز جميع المقترحات وهو خاضع مستكين غير أنه لم يتسن له الكلام ، فنام عند قدمي الأميرة وخر خواراً ناعماً ونظر إليها بحنان عظيم كأنه يقول :

« تعالي وشاهديني عند المرح بعض الأحيان » .

والآن اشتركت الحية في الحديث .

قالت « أنصحك أيتها الأميرة ، أن تتبعي بثقة الخطة التي نصحتك بها السيدة إندور »

وهكذا تكلمت الآتاد وكانت من رأي الأفعى .

حزنت أمازيليا حزناً شديداً ، ذلك بأن الحية والآتاد تكلمتا بفصاحة ممتازة في سير أن العجل الجميل ، ذا العواطف الشريفة الحنون ، كان عاجزاً عن مجاراتهما .

وهمست بصوت خافت « واحسرتاه ! لا شيء هنا أكثر مما يرى عادة في البلاط ، فهناك يشاهد الانسان أسياداً متأنقين ، عاجزين عن المناقشة والتحدث ، وأشقياء حقراء يتكلمون بفصاحة وثقة » .

قال مامبرس « ليست هذه الحية شقية حقيرة ، فربما كانت تمثل شخصية فائقة الاعتبار » .

مال ميزان النهار ، ولا بد من عودة الأميرة الى القصر ، لكنها وعدت بأن تعود في اليوم التالي في نفس الساعة ، أما سيدات حاشيتها فمضين وكن غير فاهمات شيئاً مما سمعن أو رأين ، أما مامبرس فأهمل الفكر العميق .

لما تذكرت الأميرة بأن الحية نادت الحجوز بقولها يا آنسة ، استنتجت بأنها لا تزال آنسة ، فأحست ببعض الغم والكدر ، ذلك بأنها كذلك كانت ، غير أنها أخفت حزنها العظيم ، بنفس العناية التي أخفت بها اسم حبيبها .

الفصل الثالث

كيف تحدثت الأميرة مع الأفعى حديثاً سرياً

أوصت أمازيليا الفاتنة وصيفاتها أن يحتفظن بما شاهدنه سراً إلا يبحن به ، فوعدنها جميعاً بذلك ، واحتفظن بوعدهن يوماً كاملاً . وربما ساورنا اعتقاد بأن أمازيليا لم تنم إلا قليلاً تلك الليلة ، فكأنما كانت تستعيد من لحظة لأخرى صورة عجيبا الجميل مأخوذة بفتنة يجل عنها الوصف . ولهذا فإنها سرعان ما اختلت بعامبرس الحكيم حتى قالت :

« عجباً أيها المحنك الفطن ! لقد ذهب هذا الحيوان بلبي » .

قال عامبرس « وكذلك هو يشغلني كثيراً ، وأرى بوضوح أن هذا العجل إنما هو يعلو كثيراً على أفراد نوعه ، وأدرك أن في الأمر سراً رهيباً ، وأتوقع حادثاً مروعاً . إن والدك أمازيس شكاك قاس ، وتتطلب منك هذه المشكلة أن تتصرفي بحذر عظيم » .

قالت الأميرة « عجباً ! لقد دخل عليَّ من الفضول ما أضعف تبصري ، إن هذه العاطفة هي الوحيدة التي يمكن أن تتحد بقلبي ، مع تلك التي جعلت مني فريسة بسبب حبيبي الذي فقدته ، ألا يمكنني أن أعرف ما هذا العجل الذي أزعجني إزعاجاً غريباً » .

أجاب عامبرس « لقد إعترفت لك فعلاً وبإخلاص ، بأن معرفتي تنهار بنسبة ما يتقدم بي العمر ، لكني أكون مخطئاً خطأ عظيماً لو لم تكن الحية أخبرت بما يرغبين معرفته بهذا الإلحاح ، فإنها لا تنقصها الفطنة ، وهي تعبر عن آرائها بدقة وحكمة ، ثم إنها تعودت منذ زمان بعيد أن تتدخل في أمور النساء » .

قالت أمازيليا « إنها من غير شك أفعى مصر الجميلة ، التي بتثنيها ذيلها في فمها أضحت شعار الأبدية وهي التي نورت العالم حين فتحت عينيها وأطلعته حين أغمضتهما » .

— كلا يا آنسة .

— أهي إذن أفعى استولافيوس .

— ولا هي كذلك .

— لعلها جريئة في آداب أفعى .

— كلاّ ثم كلاّ .

— عجباً ! نعم ! نعم ! إنها الحصى التي حوّلتها أنت من قبل أفعى .

— لا ، ليست هي في الحقيقة تلك الأفعى ، إنما الأفاعي جميعاً من نفس الفصيلة ؛ وهذه بالذات لها مكانة عظيمة في وطنها ، فإنها تعتبر هناك أغرب وأعجب حية شوهدت . قدّمي نفسك لها غير أني أحذّرك فإن ذلك عمل جد خطير ؛ ولو أني كنت في مكانك ، لما أزعجت نفسي بالعجل والأتان والثيس والحية والسكة والغراب والحمامة ، لكن تدفعك الشهوة واشتعال النصر ، وكل ما يمكن أن أفعله هو أن أشفق عليك وأرثي لحالك » .

تأثرت الأميرة أن يقدّمها الحية حتى تستطيع مخاطبتها ، فوافق ماميرس ، وكان مبالاً لإسداء صنيع للأميرة ، ففكر طويلاً واستعمق ، ثم ذهب الى الساحرة ، وسرد لها بطريقة لطيفة مستعذبة رؤوة خيال الأميرة . فأخبرته العجوز بموافقتها وقالت إن الحية نبيلة النشأة ، على أدب جم مع النساء ، وأنها لا تبغي من شيء سوى إسداء الجميل لمن ، وإنها سوف لا تتدخل في إخبار الأميرة بما تريده .

عاد الساحر القديم ليلبأ الأميرة بهذه الأخبار السارة ، لكنه كان ما يزال يخفي كارثة ما ، ومضى يتأمل في الأمر .

قال « ترغبين يا آنسة في أن تتحدثي الى الأفعى ، وهذا أمر تستطيعينه في أي وقت يلائم هواك ، لكن تذكري بأنه لا بد من أن تحدثيها ؛ ذلك بأن كل حيوان يحب نفسه حبّاً جمّاً ، وعلى الأخص الحيات ، فقد قيل بأنها طردت قديماً من السماء لزهوها الشديد »

قالت الأميرة « لم أسمع شيئاً عن ذلك » .

قال الرجل المسن : « اعتقد ذلك » . ثم أخبرها بكل ما ذاع من الأخبار عن هذه الأفعى الشهيرة . ثم استطرد قائلاً « لكن يا عزيزتي الأميرة ، تذكري بأنه مهما يكن من أمر المغامرات الفريدة التي وقعت لها ، فإنكِ لن تستطيعي سلب هذه الأسرار منها إلاّ بالتملق

وعما أنها خدعت النساء في قديم الزمان فان من العدل أن تخدعها حينئذٍ إمرأة » .

قالت الاميرة « سأفعل ما في جهدي »

خرجت أمازيديا مع نساء حاشيتها ، وكانت العجوز على مسافة بعيدة ، وحينئذٍ ترك ماميرس الاميرة ، وأخذ يجاذب الساهرة أطراف الحديث ، كما تحدثت إحدى وصيفات الشرف مع الاتان ، وسلّى الأخريات أنفسهن بصاحبة الفرس والكلب والغراب والحمامة ، أما الحيوان الكبير ، الذي يوقع الرعب في قلب من يشاهده ، فقد انغمر في النيل طوعاً لأمر العجوز .

صحبت الأفعى أمازيديا الفاتنة الى خيلة مجاورة حيث دار الحديث الآتي :

الأفعى — إنك لا تتصورين يا آنسة مقدار انخداعي بالشرف الذي تفضلت فأضفيته على شخصي .

الاميرة — إن شهرتك العظيمة يا سيدتي ، وبهاء صحبتك ، وتألق عينيك ، شجعني على أن أطلب منك هذا الحديث . إني أعلم من الاخبار الشائعة — إن لم تكن كاذبة — بأنك كنتِ فيما قبل سيدة عظيمة في السماء الطاهرة .

الأفعى — هذا حق يا آنسة ، فقد كان لي هناك مكانة عظيمة ، وأدّعي بأني حظية مهابة وهذه حكايات شاعت في الهند ، وأول من أرّخ مغامراتي هم البرهميون ، ولن يداخلني شك في أن مغامراتي هذه سوف تكون يوماً ما موضوعاً يتخذه شعراء الشمال ، لشعر حماسي متطرّف ، لأن ذلك في الواقع هو كل ما يمكن أن ينتج منها ، على أني حتى الآن لم أتحدر انحداراً كبيراً ، غير أني تركت في كرة الارض مملكة واسعة الارجاء يمكنني أن أتجرأ فأؤكد بأن الارض جميعها ملك يميني .

الاميرة — أعتقد ذلك ، لأنهم أخبروني بأن قوة إغرائك شديدة لا يمكن مقاومتها وإدخال السرور الى النفس هو عين التحكم فيها .

الأفعى — أشعر يا آنسة ، بينما أنا منصرفة اليك مصغية ، بأن لك عليّ قوة تشابه نفس القوة التي تنسبينها اليّ على الآخرين .

الاميرة — أعتقد بأنك فازية محبوبة ، وقبل بأن غزواتك على الجنس اللطيف كانت

حديدة ، وإنك بدأت بأمنا جميعاً — التي نسيت اسمها لسوء الحظ — .

الأفعى — لقد ظلمني أولئك الذين ادعوا ذلك ، ولقد شرّفتني بتقدمها ، فقدمت لها أطيب نصيحة ، ورغبت في أن تأكل هي وزوجها من شجرة المعرفة بهم وشهية ، ولقد خيل إليّ أنني بفعلتي هذه — وهي ضرورية للجنس البشري — أني سوف أرضي باريء الأشياء ولاح لي بأنه لم تزرع شجرة منّا لتكون عارية من الفائدة كلية . وهل أراد الكائن الأعظم أن يعبده الجهلة والمغفلون ، ألم يكن العقل ليحصل به على المعرفة والتقدم ؟ أليست معرفة الخير والشر ضرورية لعمل أحدهما وتجنب الآخر ؟ إني موقنة بأني إنما استأهلت شكرها .

الأميرة — لكنني أخبرت بأنك طردت من أجل ذلك ومن المحتمل أنك قاسيت منذ العصر الذي عوقب فيه كثير من الوزراء لحسن نصيحتهم واضطهد فيه كثير من الفلاسفة والمبادرة جزاء ما كتبوا ، وكان مفيداً للنوع البشري .

الأفعى — إنهم أعدائي الذين أخبروك بهذه الروايات ، فيقولون بأني مكروهة في البلاط ، لكن البرهان على أن نفوذي هناك لم يبن ولم يضعف بعد ، إعترافهم بأني شهدت المجلس الذي انعقد لمحاكمة أيوب الفاضل ، ثم دعيت ثانية عندما صمموا على أن يخدعوا ملكاً من عمل الملوك يدعى آحاب ، فعهد إليّ بشرف الإنفراد بتأدية هذه الرسالة !

الأميرة — عجباً يا سيدتي ! لا أعتقد بأنك خلقت للخداع ، لكن حيث أنك دائماً في الحاضية ، أفيمكن أن أطلب منك خدمة تؤديها لنفعي ، وإني لآمل ألاّ تهملني سيدة محبوبة مثلك .

الأفعى — وفقاك أواصر يا آنسة ، عدّدي مطالبك .

الأميرة — أتوسل اليك أن تخبريني ، من هذا العجل الأبيض ، ذي الشعر المموه بسوالف شاذة ، تؤثر في نفسي وتزعجني ، ولقد أخبرت بأنك سوف تتنازلين متلطفة وتخبريني بذلك

الأفعى — إن الفضول ضروري لطبيعة البشرية ، وخاصة لجنسكن المحبوب ، ولولاه لعاش الناس يكتنفهم أخرى الجهل ، فإني كنت دائماً أرضي فضول النساء بكل ما أوتيت من قوة ، وفي الحقيقة ، أسمحت بأني لا أستعمل هذه الوسيلة الهامة إلا لإرضاء باريء

الكون . أقسم لك بأني لا أتمكن من أن أتصوّر شيئاً هو أحب الى نفسي من طاعتك . لكن لا بدّ وأن تكون العجوز قد أخبرتك بأن كشف هذا السر سيكون مصحوباً ببعض المخاطر

الأميرة — نعم ! هذا هو الذي يضاعف فضولي .

الأفعى — اذن فقد اكتفيت بالذي قدمت له خدماتي قديماً .

الأميرة — لو أن لك إحساساً ما ، لو أن المخلوقات الناطقة تتبادل المساعدة ، لو أن لك شفقة هل تخونة نعيمة ، فلا ترفضي طلبي .

الأفعى — إنك لتثيرين حناني ، ولا بدّ أن أرضيك ، لكن لا تقاطعيني .

الأميرة — أعدك بألاّ أقاطعك .

الأفعى — كان هناك ملك شاب ، جميل فتّان ، محبوب جداً .

الأميرة — ملك شاب ! جميل فتّان ! محبوب جداً ! من يشبه ؟ من هذا الملك ؟ كم كان عمره ؟ الى أي شعوب صار أمره ؟ أين مملكته ؟ ما إسمه ؟

الأفعى — أصغ إليّ ، فها قد شرعت في الحديث ، ولم أكد أبدأ . إحذري ، فإذا لم تكوني أكثر ضبطاً لنفسك من هذا ، فقد قضي عليك .

الأميرة — عجباً ! أغفري يا سيدتي ، سوف لا أتورط في عدم التبصر مرة أخرى ، استمرّي . أتوسل إليك .

الأفعى — كان هذا الملك العظيم ، أشجع الرجال ، منتصر حيثما يحمل سلاحه ، وكان كثيراً ما يحلم ، ثم ينسى حلمه حين يستيقظ ، فيطلب من سحرته أن يتذكروا له تلك الأحلام ، ويطلعوه على تفسيرها ، وإلاّ شنقهم — وليس من شيء هو أعدل من هذا — ولقد مضى زهاء سبع سنين منذ أن حلم حلماً جميلاً ، نسيه تماماً عندما استيقظ ، فلما فسر له شاب يهودي ، عظيم النجاريب ، تحوّل هذا الملك المحبوب في الحال عجلاً ولهذا ...

الأميرة — آه ! إنه عزيزي إذن ...

ثم عجز لسانها ، وانتابها إغماء ، فلما رآها مدرس تسلط ، وكان يمشي من بعد ، إعتقد بأنها ماتت .

الفصل الرابع

كيف أرادوا قتل العجل ، ورقية الأميرة

عدى طامبرس نحو الأميرة باكيًا ، وانتاب الأفعى حزن شديد ، غير أنها للأسف عاجزة عن التعبير . لكنها صفّرت صفيرًا حزينًا ثم صاحت « إنها ميتة » وردّدت الأتان « أنها ميتة » ، وكذلك صاح الغراب ، وبدى على باقي الحيوانات حزن بالغ وألم عميق ، ما عدا تمكة يونس ، فإنها كانت دائمًا قاسية ، فلم تبد شيئًا من ذلك .

وصل نساء البلاط ، ووصيفة الشرف حيث كانت الأميرة ، ونزّفن شعورهن ؛ أما العجل الأبيض الذي كان يرعى عن بعد ، وسمع الصياح ، فقد جذب من خلفه العجوز ، وجرى نحو الحيلة مسرعًا ، بينما كان خواره الشديد يملأ أرجاء الناحية ، وسكب النساء على أمازيديا المحتضرة زجاجات من ماء الورد والقرنفل والريحان السنجابي ؛ لكن عبثًا ، فإنها لم تبد شيئًا من علامات الحياة ، حتى اللحظة التي أدركت فيها أن العجل الأبيض الجميل يدانيها فأفاقت وهي أشد بهاء وأروع جمالاً وحيوية عن ذي قبل ، ثم أقبلت على هذا الحيوان الفاتن الخلاب تقبله آلاف القبل ، فمال برأسه المعقب على صدرها المرمري ، فناداه قائلة « ياسيدي ، يا ملكي ، يا عزيزي ، يا حياتي » ثم ألقت بيديها الظاهرتين حول رقبته الناعمة كالجليد . عجبًا ! لا يعلق القش الخفيف بالكرمان ، ولا الكرم بالدوار ، ولا القلاب بالبلوط . ولقد ظلت تتنهداتها همسات عذبة رقيقة ، كما شوهدت عيناها ، تتألق فيهما شعلة الحنان ، تارة ، وتحملهما الدموع الغالية التي يكلفنا إبادا الحب تارة أخرى .

يمكننا أن نقدّر بسهولة مقدار ما داخل نساء الحاشية من التعجب والدهشة ، فإنهن سرعان ما وصلن القصر أن يحكين لأحبائهن تلك القصة النادرة ، فقد قصصنها بتفاصيل مختلفة زادت من تشويهها وغرابتها ، وهذا ما يساعد دائمًا على تباين الروايات .

وما أن أخبر أمازيس ملك تنيس بهذه الحوادث ، حتى اشتعل صدره الملكي بسخط عظيم ، وهكذا كان حنق مينوس عندما أسرفت إبنته باسيفية في حبها العاطفي نحو ولد مينوطور ، وكذلك ثارت وغضبت يرتون عندما بصرت بوبيتر وهو يلاطف البقرة إيون الجميلة ، إبنة النهر إيناخوس . أما وقد اتسع أمازيس الصارم ما قلبه انفعالات النفس فقد حبس ابنته النسيمة أمازيديا الفاتنة في غرفتها وأقام عليها حراساً من الخصيان السود .

ورأس الساحر القديم ، جمعية الوزراء ، لكن لم يعد له بعد ، من تأثير وسلطة ما كان له أولاً ، أجمع وزراء الدولة على أن العجل الأبيض ساحر شرير ، والحقيقة غير ذلك تماماً ، فانه مسحور ، غير أنهم دائماً ما يخطئون في المسائل الدقيقة في البلاط .

أجمعت أغلبيتهم المطلقة على أن رقية الأميرة واجبة ، كذلك صمموا على قتل العجل والعجوز ، فلم يعارض مامبرس الحكيم فكرة الملك والجمعية ، فكان له حق الرقية ، ويمكنه أن يؤخر رقية الأميرة تحت ستار من الادعاءات الصائبة ، فأخيراً مات الاله آبيس في ممفيس « مات إله عجل كما يموت عجل آخر » ولم يكن مسموحاً بأن يرق أي إنسان في أنحاء مصر جميعاً قبل أن ينصب عجل مكان الذي مات .

أصدرت الجمعية قراراً يقضي بتأخير الرقية حتى ينصب الاله الجديد في ممفيس .

حينئذٍ أدرك مامبرس ، ذلك الرجل المسن الفاضل ، أي خطر تعرضت اليه ابنته الأميرة فقد عرف من كان حبيبها... نيبو ... أما هذا المقنع الدجاني الذي أطار لبها فقد كشف ذلك الحكيم كل ما اكتنف الأمر من غموض . وهناك بواعث دعت مامبرس أن يصوص نفسه متبصراً مستعيناً بحكمته في هذا الجو المفعم بالصعوبات . ذلك بأن الملك الشاب الوسيم العظيم الذي وقعت في شباك غرامه ، كان قد نزع والدها عن عرشه واستعاد أمازيس مملكته منذ سبع سنين ، ولم يعرف منذ ذاك الحين ماذا حدث للملك المشوق ، فأمر الأمم ومصيرها ، وحبيب أمازيديا الخليق أما قتل العجل فسوف يكون سبباً في القضاء على الأميرة بهلاكها من غير أدنى شك .

ماذا يستطيع أن يفعل مامبرس في مثل تلك الأحوال الدقيقة الخطيرة ؟ ذهب بعد انقضاض الجمعية ليرى عن كثب الابنة التي رباها .

قال : « سأقدم لك خدماتي يا بنتي العزيزة ، لكن أعيدها على مسمعك ، فإنهم سوف يقطعون رقبتك لو أنك تفوهت باسم حبيبك .

أجابت أماريدا الفاتنة « ماذا تهمني رقبتي إن لم أتمكن من معانقة تلك التي أحبها إن والدي رجل قاس ، فإنه لم يرفض فقط أن يخطبني لأمير صقلية ، بل أطلق عليه الحراب ، وبعد أن قهره حبيبي ، وجد السر الذي قلبه عجلاً . أشاهد أحد قط من شيء هو أحلى وأشر من هذا ؟ لو لم يكن هذا والدي ، إذن لعرفت ماذا يجب أن أفعل به » .

قال مامبرس الحكيم « ليس والدك الذي خدعه تلك الخدمة النسائية ، إنما هو مولاي فلسطيني ، وهم أعداؤنا من قديم الزمان ، وكانت بلاده ضمن تلك المجموعة من الجزائر التي أخضعها حبيبك ليطهرها ويصقلها » .

« ولا يجب أن تدهشك مثل هذه التغييرات ، فإنك تعلمين بأني قد قدمت إلى كثير من ذلك غرابة ، فلم يكن هناك من شيء في تلك الأيام أكثر اعتياداً من هذه التحولات التي تدهش الفلاسفة في الوقت الحاضر . وقد ينبئنا التاريخ الذي طالعناه سوياً بأن لرقون ملك أركاديا تحول ذئباً ، وتحولت ابنته قالسطة الجميلة دبة ، وتحولت إيرول ابنة النهر إيناخوس بقرة ، ودافنية شجرة غار ، وصيرينكس نايادًا ، ثم ألم تزل إديث الطاهرة زوجة لوط ، أكثر الآباء والأزواج حناناً ورقة ، عموداً من الملح لاذع الطعم ، وحدث ذلك هنا في جزيرتنا ، وقد احتفظت بكامل شكلها وجمالها ، كما شهد بذلك من رآها من عظام الرجال وشهدته في حداثتي ، كما رأيت أيضاً سبع مدن عظام قوية ، تقع في أيبس وأجف مكان من المعمورة تتحول بحيرة زاهية ، فقد كانت الدنيا في الجزء المبكر من حياتي مليئة بالتحولات . وعلى الجملة إن كانت تختلف الأمثال عن حوادثك ، فتذكري بأن الزهرة قد تحولت قرمطي جلاً » .

قالت الأميرة « لست أعرف أن الأمثال تسلينا ، لكن إن كان حبيبي ميتاً ، فهل أفرج عن قلبي بفكرة أن الرجال يموتون » .

أجاب الحكيم « ربما خففت هذه الأمثال من آلامك بعض الشيء . فقد أن صار حبيبك عجلاً ، فمن الممكن أن يتطلب وطناً ، أما أنا فأرغب في أن أتحول نمراً أو نسناساً ذلك إن لم أكن استخدم ما لدي من قوة بسيطة في خدمة أميرة تستأهل عبادة الدنيا برمتها ، وإن لم أكن أصل لأماريدا النفاسة التي ربيتها على ركبتي ، والتي تعرضت أسرتها المشؤومة لمثل تلك المحاولات النفاسية

الفصل الخامس

كيف تدبر ماسيرس بحكمته

لما أتى فصل ماسيرس في تهدئة روع الأميرة وطابت مساعيه جميعاً في تعليتها ، هُرع الى العجوز وخاطبها قائلاً : « إن مهمتنا يا رفيقتي لخاتنة ، غير أنها عظيمة الخطر ، إنك تخاطرين بشنق نفسك ، وبقتل عجلك ولا أعرف ماسوف يتخذون بشأن حيواناتك الأخرى ، فإني نبيٌّ — ولا أعرف إلاّ القليل — لكن حاذري وأخضر الأعمى والحوت ، ولا تسعى لأحدها أن يخاطر بالخروج من جحره ، ولا للآخر بأن يظهر برأسه فوق الماء ، أما العجل فسأنسمه في إحدى حقائبي بأريف ، حيث تكرهين سمه ، طالما أنك تقولين بأنه غير مسموح لك بتركه ، وفي هذه الحال يقوم التيس المطلق الفاضل من حين لآخر بالكفارة ، فنرسله الى الصحراء محمّلاً بخطايا الآخرين جميعاً ، فإنه قد ألف وتعوّد إقامة هذه الشعائر التي لا تضره ، ويعلم الجميع بأن الخطايا جميعاً إنما يكفر عنها التيس الذي يتخذ من ذلك مسرّة لنفسه . ولي رجاء واحد ، هو أن أستعير منك كلب تويت ، ذلك الصياد السريع ، وأتان بلعام التي تفوق سرعتها الجن ، وغراب وحمامة سفينة نوح الذين تدهر سرعتهما الى الدهشة ، ذلك بأني أرغب في إرسالهم الى تفيس لتأدية رسالة ، ذات اعتبار عظيم .

أجابت العجوز قائلة : « يمكنك أن تستخدم كما يروق لك كلب تويت ، وأتان بلعام ، وغراب وحمامة سفينة نوح ، لكن من المتعذر أن تقاد أقدام صحلي حقيرة ما ، فقد قيل بأنه لابدّ وأن يظل دائماً موثقاً الى سلسلة حديدية ، سلالاً بندي السماء ، يرعى حشيش الحقل وأن يكون نصيبه مع الوحوش الضارية » .

« عهد به إليّ ، ويجب أن أطيع ، فإذا يظني دانيال وحزقيال وإرميا ، لو أني عهدت بعجلي لأيّ من الناس سواي ؟ أدرك بأنك تعرف سر هذا الحيوان الغريب ، لكن ليس

لي أن ألوم نفسي أو أعنفها لإماطة اللثام عن هذا السر لك . سوف أسميه إيضاً سر هذه الأرض المدنسة ، ميممة شطر بحيرة مريوت ، حيث يكمن في مأمن من نظر ملك تحس أنا حرتي وأنماي فيحسباني ، أضف الى ذلك أني لا أخشى أحداً رأنا أخدم سيدتي .

أجاب مامبرس الفطن : دعي ذلك لارادة الله يا سيدتي الفاضلة ، لكن يجب أن أعثر بعجلك ثانية ، ثم أن بحيرة مريوت وماريس وسردوم لعديمي القيمة بالنسبة إليَّ ، ولست أرغب في أن أفعل لكِ وله إلاَّ خيراً ، لكن لماذا تحدثت عن دانيال وحزقيال وأرسيا ؟ .

قالت العجوز ؟ عجباً ! إنك تعلم يا سيدي كما أعلم تماماً أي سلطة لهم في قلبه ، بيد أنه ليس لديَّ من الوقت ما أضيعه سدًى ، فلا أرغب في أن أشقى ، كما لا أريد أن يقتل عجلي فسأذهب الى بحيرة مريوت عن طريق كانوبوس بدعة حوتي وأنماي ، وداعاً .

تبعها العجل متأملاً مفكراً ، بعد أن اعترف بجميل مامبرس نحسن الكريم .

أما مامبرس المحنك ، فاختلجت نفسه باضطرابات جمة . ذلك بأنه أدرك أن أماريس ملك تنيس قد ثار غضباً وحنقاً من هيام ابنته الغريب بهذا الحيوان ، ولأنه اعتقد بأنها سحرت فسوف يطارد العجل الأبيض التعيس في أي مكان يلجأ به ، حيث يحرقه من غير أدنى شك ، كما كان يفعل السحرة في ميدان تنيس العام ؛ وإما أعطاه لخوت يونس ، أو شراد وأعده غذاء ، ورغماً عن كل هذه الاعتبارات أراد مامبرس أن ينقذ الأميرة من هذه الكارثة الشنعاء .

كتب خطاباً مليء بطابع القدسية ، الى سادنه كبير أساقفة تنيس ، وسطره على الورق المصري الذي لم يكن قد استعمل بعد ، وهذه كلمات الخطاب بذاتها

« يا نور الدنيا ، يا من يقوم مقام إزيس وأوزيريس وحوروس ، يا رئيس الكهنة ، يا من يعلو مذبحك على جميع العروش ! أخبرت بأن إهليلك العجل آبيس قد مات ، وعندي واحد تحت تصرفك ، فاحضر سريعاً بكهنتك للتعرف إليه ، وتقدم له واجبات العبادة ، ثم تصحبه الى حظيرة معبدك . أطلب إليك إزيس وأوزيريس وحوروس ، بحرمتهم الكلية التي أنت لها أهل ، وكذلك حوطوا كهنة منفيس بعنايتهم الشاملة » صديقك المخلص

مامبرس

كتب أربع نسخ من هذا الخطاب حفر الحوادث والمصادفات ، ووضعها في صناديق من الأبنوس الصلد المتين ثم دعى رسل الأربع الذين اختارهم لهذه المهمة (الأتان، والكلب، والغراب والحمامة) ثم قال للأتان :

« أعرف الاخلاص الذي خدمتني به أخي بلعام ، فاخدمني مثله ، ليس هناك من غرابيث يضارع مرعتك ، فاذهبي بصديقتي العزيزة وسلمي هذا الخطاب المرسل اليه ومودتي »

قالت الأتان : « سأخدمك يا سيدي كما خدمت بلعام ، فسأذهب وأعود »

ثم وضع الصندوق في فمها وسرعان ما رحلت .

دعى كلب توبيت وقال : « أيها الكلب الأمين ، إني أعرف ما قمت به لتوبيت بن توبيت عند ما صحبته والملاك روفائيل من نينوة الى راجوزا في مقاطعة ميديا ، ومن راجوزا الى نينوة ، وأنه أعاد الى والده عشر طالنتات كان الأب العبد توبيت أقرضها الى السيد جابيلوس — لأن العبيد كانوا عظيمي الثراء في ذلك الحين — فاحمل هذا الخطاب الى حيث وجهته ، فانه يساوي أكثر من عشر طالنتات من الفضة »

قال الكلب : « إن كنت يا سيدي قد تبعت في قديم الزمان الملاك روفائيل ، فيمكنني مثل تلك السهولة أن أقوم برسالتك » .

وضع مامبرس الخطاب في فمه .

وبعد ذلك تكلم مع الحمامة بنفس الطريقة فأجابت « سيدي ، إن كنت أحضرت غصناً الى سفينة نوح مرة ثانية ، فكذلك سوف أحضر لك ردّاً » ثم أخذت الخطاب في منقارها ، وفي لحظة توارى الرسل الثلاثة ، وتكلم بعد ذلك مامبرس مع الغراب .

قال : « أعلم أنك تدعى الطعام الى الوليمة ، ذلك النبي العظيم عندما كان مختبئاً بالقرب من السيل الجارف الذائع الصيت ، فكنت تمده كل يوم بالخبز واللحاج اللحين ، ولا أطلب منك أكثر من أن تحمل هذا الخطاب الى نينوى » .

قال الغراب : « إنها الحقيقة يا سيدي ، اني كنت أحمل كل يوم غذاء اليشع النبي العظيم ، ورأيته مستطيباً مركبة سلطانية من النار تجرها جياد مضطرمة ، ذلك بالرغم من أن هذه الطريقة ليست وسيلة السفر العادية ، غير أني كنت أحرص دائماً على تناول نصيبي من الطعام لنفسي »

وسوف أحمل خطابك بسرور عظيم ، على أن تؤكد لي أكلتين جيدتين كل يوم ، أضف الى ذلك أني أتقاضى أجر رسالتي مقدماً » .

قال مامبرس وقد تملكه الغضب « أيها الغراب اللعين ، إنه أمر لا يعنيني إن كان أبرلون قد سوّدك لجمك كالشامة من بعد أن كنت أبيض كالنجمة ، قبل إن تخون كرونيس الجميلة التعيسة أم استقولاقيوس في سهرل تسالبا . أخبرني أكنت تأكل كلّ يوم شرائح لحم ودجاج عندما مكثت في سفينة نوح عشرة أشهر طوال ؟ » .

قال الغراب : لقد كان نصيبنا هناك كبيراً يا سيدي ، فكانوا يقدمون لحماً مشوياً لجميع الطيور التي من نوعي مرتين كل يوم ، كتلك التي لا تعيش على شيء غير اللحوم ، مثل النسور والصقور والحدئات وغيرها . كما كانوا يعدّون موائد السلخ والتمرو والثعالب والقيود والذئاب وهرر القطب بوفرة عظيمة واسرافه بالغ . أما أصحاب الامتياز في السفينة فكانوا ثمانية ، وهم الوحيدون الذين كانوا في العالم وقتذاك ، وقد شغلوا دائماً بالعناية بطعامنا وتنظيم أخونة ملابسنا ، وهم نوح وزوجه التي كانت تداني الستمئة سنة ، وأبناؤهم الثلاث وزوجاتهم ، ثم إنه لشيء مستحب لو أنك رأيت بأية عناية ولباقة ونظافة كان خدمنا الثمانية يقومون بخدمة أربعة آلاف من أشره الضيوف ، وذلك من غير أن يدخل عليهم أي اضطراب يمكن أن يثيره عشرة آلاف أو إثنى عشر ألفاً من الحيوانات الأخرى ، متدرجة من الفيل والزرافة الى دودة الحرير والدبابة » .

« أما ما حيرني وأدهشني ، فهو أن نوحاً مقيتاً ، غير معروف لدى جميع الأمم التي هي ذريته ، لكن هذا لا يهمني ، وعلى الجملة أريد مأدبة كبيرة وأجراً يتقد لي فوراً » .

حذر مامبرس الشيطان الأريب أن يسلم خطابه لمثل هذا الحيوان المتبرّم الثرثار ، متفاوتاً على مضض ، غير أنه أضحى من الضروري أن يقف مامبرس على سفينة نوح إنه أمر العجل الأبيض ، تأمر خدمه الأذكياء الخلصين باتباعه ، وسار يتقدّم في هودج محاذياً النيل مهموماً دائم الفكر .

قال مناجياً نفسه : كيف أن هية ، هي سيدة لمعظم العالم تقريباً ، كما تفخر بذلك ويعترف به كثير من المتعلمين ، ثم إنها لا تعمي مطلقاً تلك الأحجار ؟ كيف تُعمى بعض

الأحيان الى جمعية البلّ العظيم بيناهي تزحف على الأرض ؟ بأية وسيلة تتمكن من دخول أجسام الرجال بقوتها الذاتية ليس الا ، وأن كثيراً من الرجال يدعون بأنهم يطردونها بوسيلة هي الكلام ؟ كيف يجهل الجنس البشري هذا ؟ تقدمت بي السنون ، ودرست طول حياتي . لكني أرى كثيراً من المتناقضات التي لا أتمكن من التوفيق بينها ؟ لا يمكن أن أضع بياناً لما صار اليه أمري ، ولا للاشياء العظيمة التي أجريتها قديماً ، ولا لتلك التي كنت مشاهداً لها . كل شيء له اعتبار ، ولقد بدأت أفكر بأن هذه الأرض إنما عاشت في المتناقضات ، كما قال قديماً سيدي زرادشت » .

وبينما هو منغمر في هذا التفكير الصبي الغامض ـ ككل الغيبيات ـ إذ بجمار ينشد أغنية إنجيلية ، قد اقترب من الشاطىء بزورقه الصغير ، ونزل منه ثلاثة أشخاص يبدو على وجوههم الاعياء ، نصف مدثرين بأسمال بالية ممزقة ، إلاّ أنهم كانوا يحتفظون تحت رداء الفقر بأكبر صفات العظمة . أما هم ، فكانوا دانيال وحزقيال وإرميا .

الفصل السادس

كيف قابل مامبرس ثلاثة أنبياء وقدم لهم طعاماً طيباً

عرف مامبرس أولئك الثلاثة العظماء الذين يشع نور النبوة من محياهم ، ذلك بأنه كان لا يزال يحتفظ بشيء من شعاع النور نفسه . انحنوا جميعاً أمام هودجه ، كذلك كانت فراسة حنداميم الباعث الأول في أن يدرك مامبرس أنهم أنبياء ، لا تلك الأقباس النورية التي انبعثت من رؤوسهم الفخيمة ؛ ظن مامبرس إنهم إنما حضروا ليستقوا الأنباء من العجل الأبيض ، وعندئذ ساس نفسه بلباقته المعهودة ، فترجل من عربته ، وتقدم نحوهم ببعض خطوات ، ولكن بأدب جم تحف به المهابة ؛ ثم حياهم ، وأمر بأن تضرب لهم الخيام ، وجهز لهم غداء عندما أدرك أنهم في أشد الحاجة إليه . ودعي العجوز فقبلت الدعوة وحضرت تقود عجلها الأبيض .

قدم لهم نوعين من الحساء الفاخر ، وكانت المائدة الأولى عبارة عن فطائر من لسان الثيران ، وكباد الأنكليس ، وحشيش جاف ، ثم دجاج مطبوخ بالمسقق ، وحام معه كأس وزيتون ، ودندبين مع مرق السمك وحش الغراب وفطر البطاطا . أما المائدة الثانية فكانت مؤلفة من دجاج التدريج والحجال والمعاق وصنوف أخرى من المشهيات . وكان كل شيء منسق أعظم تنسيق ولم يكن هناك أبهى من الله كية ولا أبهى منها منظراً . لكن مع مامبرس الحكيم كل عناية بألا يتناول لحماً مسلوقاً ولا طعاماً ولا لساناً ولا ضرع بقر ، حتى لا يظن الملك السيء الحظ التعيس ، وكان بمقربة منه ، أنه يوجه له بذلك سباباً .

كان الملك العظيم التعيس يرعى بجواره ، ولم يشعر في وقت من الأوقات بمرارة ذلك الانقلاب الذي حجبه عن عرشه سبع سنين أكثر مما شعر به في تلك الأثناء .

وا أسفاه ! هذا هو دانيال الذي حرمني معلماً ، وهذه الساحرة التي تحرسني إنما

يعمرها أعظم الفرح والسعادة ، بينما أنا ملك آسيا قد خضعت لضرورة أكل الحشيش وشرب المياه » .

تجاذب الأنبياء والساحرة من بعد أن شربوا بإفراط من خمر أجداده وتدفق وفير أحاديثاً يشوبه إخلاص أكثر من ذي قبل .

قال دانيال : « يجب أن أعترف بأني لم أكن سعيداً في مغارة الأسد » .

قال مامبرس : « ماذا يا سيدي ! أوضعوك في مغارة أسد ؟ كيف حدث إنك لم تلتهم ؟ »

قال دانيال : إنك تعرف جيداً يا سيدي ، بأن السباع لا تأكل الأنبياء » .

قال حزقيال : « أما أنا ، فقضيت حياتي كلها أتضور جوعاً وهذا هو اليوم الوحيد الذي تناولت فيه طعاماً طيباً . أما إن قدّر لي أن أستمر في تلك الحياة مرة ثانية ، وكان في ستطاعي انتقاء مركزي ، فلا بدّ من اعترافي بأني أفضل أن أكون رئيس أساقفة في بابل عن أن أكون نبيًّا في القدس »

صاح إرميا : « لقد أمرت ذات يوم بأن أنام ثلاثمائة سنة وتسعون يوماً على جانبي الأيسر وأن يكون غذائي طوال هذه المدة خبز الحنطة والشعير والفول والعدس ، معطاة بأحسب الطرق ، ومع كل هذا فإني أقر بأن طعام السيد مامبرس أحسن مذاقاً ، إلاّ أن تجارة النبوّة لها مزاياها ، والاثبات على ذلك أن كثيراً يتبعونها »

بعد أن تكلموا بهذا القدر من الحرية ، تكلم مامبرس في الشؤون الحديثة ، فسأل الأنبياء عن سبب رحلتهم إلى مملكة قيس ، فقال دانيال بأن ملكة بابل إنتابتها سورة غضب عظيمة منذ أن اختفى نبوخذ نصر ، وأنهم تبعاً لعادات البلاط ، اضطهدوا جميع الأنبياء ، أولئك الذين قضوا حياتهم والملوك تخضع عند اقدامهم تارةً ، وتضربهم بالسياط مئات الضربات تارةً أخرى ، وأخيراً أجبروا إلى الالتجاء الى مصر فراراً من هلاك جوعاً .

ثم تكلم حزقيال وإرميا ، وأسهبا في الحديث ، حول تلك المسائل الطيبة ، غير أنه كان من المتعذر أن يفهما . أما الساحرة العجوز فكانت دقيقة الملاحظة تحرر أمانتها ، وتابع حوت يونس حراسته وهو في النهر أمام الخباء ، وكانت الأفعى تلهو فوق الحشيش ، وبعد أن تناولوا القهوة ، مضوا ينجولون على ضفاف النيل ، فلما رأى العجل الأبيض أعداءه

الأنبياء الثلاثة ، فاز خواراً رهباً وجرى نحوهم ، وقد استفزته شراسة ثالثة ، ثم انقضوا بقرنيه ، وهنا أنه ليس للانبياء من شيء إليهم غير جلد من فوق عظمهم ، فقد لاح بأنه حطمهم تحطيماً ، غير أن حاكم الكون الذي يدرك ويداوي كل شيء حوّلهم في الحال غربان زاغ ، واستمروا رغم ذلك في تعليمهم كما كانوا من قبل . كذلك تحدث هذا الانقلاب يوماً ما لبريديس ، وكثيراً ما حاكت الخرافات صفحات من التاريخ المتقدم .

كانت هذه الحوادث سبباً في خواطر جديدة شغلت عقل مامبرس .

قال : دعنا نحوّل ثلاثة أنبياء عظام غربان زاغ ، وهذا يجب أن يعلمنا ألاّ نتكلم كثيراً ، وأن نتطلب دائماً بصراً معقولاً ، ثم اعترف بأن الحكمة خير من البلاغة ، وفكر صيتاً كعادته عند ما وضع أمام عينيه هذا المنظر الجبار المخيف .

الفصل السابع

كيف أراد الملك أمازيس أن يبتلع الحوت العجل ولم يفعل

تارت سحب الغبار من الجنوب الى الشمال ، وسمع دوي الطبول والمزامير والقيثارات وضجيج الجند . تقدمت عدة فصائل على رأسها أمازيس ملك تنيس ، يمتطي جواداً عربياً يحلي سرجه غطاء مطرز بالذهب ، وأعلن الفرسان بأنهم سوف يقبضون على العجل الأبيض ويلقون به في النيل ليبلعه حوت يونس — ذلك بأن سيدنا الملك ، يريد أن ينتقم منه لأنه حجز ابنته .

أجهد مامبرس المسن الفاضل فكره ، وأدرك بأن الغراب الخبيث هو الذي أخبر الملك كل شيء ، وأن الأميرة خاطرت بحياتها .

قال للافمي « اذهبي في الحال يا صديقتي العزيزة وواسي ابنتي الربيبة ، أمازيديا الطاهرة . تضرعي اليها ألا تخش شيئاً رغم جميع الأحداث ، وارو لها قصصاً تخفف من قلقها واضطرابها ، فان القصص يطرب السيدات ، ويستطيع الانسان أن يكون ناجحاً في الحياة لو أنه تمكن من تنبيه عواطفهن إليه إلا » .

انحنى مامبرس أمام الملك وخاطبه قائلاً .

« لتعش دهراً أيها الملك ! إن قتل العجل الأبيض أمرٌ ضروري ، ذلك لأن وجهة نظرك دائماً على صواب . لكن قال مدبر الكون ، بأن الحوت يجب ألا يبلع هنا تعس قبل أن تجد تنيس إلهاً ينصب مكان ذاك الذي مات . إذن سوف تنتقم ، وترقى أملاكك لأنها محروسة . إن تقواك لعظيمة ، حتى إنك لا تعصى لمدبر الكون مطالبه » .

أطرق أمازيس بعض الوقت في هدوء وفكر عميق ثم قال : مات الآله آبيس : طيب الله نفسه ! متى نظننا نجد عجلاً آخر يسود مصر المشرة ؟ »

أجاب مامبرس : « أسألك يا سيدي أن تنتظر ثمانية أيام »

قال الملك الشديد الندين « أجزت لك بها . وسأمضي هذه تلك الأيام الثمانية ، ثم أقتل عدوّ إبنتي » .

أصدر أمازيس أوامره تقضي بإحضار خيامه وطهاته وموسيقاريوه ، ليكونوا في خدمته تلك الأيام الثمانية ، وهذا ما رواه مانيثون .

داخل العجوز اليأس ، لأن العجل الذي تتعهده ، سيقضي بعد ثمانية أيام ، فكانت ترسل في الليل أشباحاً حتى تنفي الملك عن حرمه القاصي ، غير أن أمازيس كان ينسى كل شيء في الصباح تماماً كما كان ينسى تفسير أحلامه

الفصل الثامن

الأفعى تروي قصصاً لمواساة أمازيديا

روت الأفعى لأمازيديا المساء بعض القصص لمواساتها وتهدئة روعها ، فقصت عليها كيف انها شفت قديماً أمة بأجمعها من لدغات نوع خاص من الأفاعي الصغيرة ، وكانت وسيلتها الى ذلك ، هي ظهورها فوق رأس سوطان ، وأخبرتها بانتصارات بطل نافس أمفيبيون ، وقارنت بين قوتهما . وكان لمفيبيون هذا مهندس طيبة ، وما كان عليه اذا أراد بناء بمدينة إلا أن يعزف أنغام الريفارون ، فتتجمع آلاف من الأحجار للمقرلة ، لكن حطمها البطل الآخر بأن استعمل أصوات قرون الكباش . فقد أطلق يوماً ما واحداً وثلاثون ملكاً قرناً في مملكة طولها أربع فراسخ وكذلك عرضها ، فأنزل عليهم من السماء أحجاراً جعلتهم أيادي ، ثم أوقف الشمس والقمر في منتصف النهار بين جيبون رأيالون في الطريق المؤدي الى بيت هورون ، وذلك ليستأصل شأفتها ، مقتدياً بياكوس الذي أوقف الشمس والقمر أثناء رحلته الى جزائر الهند .

أما التبصر المفروض في كل أفعى فيمنعها من أن تروي لأمازيديا الفاتنة شيئاً عن جفناه الجبار الذي نذر نذراً دينياً ، هو أن يقتل ابنته لو انتصر في معركة ، لأن في ذلك ما يملأ رأس الأميرة الجميلة فزعاً ورعباً . لكنها روت قصص عشرين الجبار ، الذي قتل ألف فلسطيني بعظمة فكٍّ أتان ، والذي شد ثلاثمائة ثعلب ذيولهم الى ذيول بعض ، والذي وقع في شباك غرام أميرة كانت أقل جمالاً وسحراً واخلاصاً من أمازيديا الرائعة ، كما روت لها حكاية سيدنا ودينا التعيسين ، وقصص روث وبوز الأعظم شهرة ، وقصص جودا وتامار ، وروبين وبلعام وقصص الملك سليمان العظيم ، وباختصار روت لها كل ما يمكن ان يلطف من حزنها .

الفصل التاسع

كيف حدث أن الأفعى لم تواس الأميرة

قالت أمازيديا وكانت سليمة الذوق حكيمة الادراك : « تثيرني هذه القصص جميعاً ، وليس لها شيئاً من الاعتبار عندي ، فليس لها من الجدارة إلاّ أن يرويها أيادي المجنون للاسكتلنديين ، أو يقصها دوتيشيل المضحك على الريلزيين . إن القصص التي كانت تطرب لها جدتي جدة جدة والدتي ، تظهر لي تافهة حقيرة حيث أنها وقعت على يدي مامبرس الحكيم ، الذي طالع كتاب الفهم الانساني على لوك الفيلسوف المصري . وما دام الأمر كذلك فاني أرغب أن تقوم القصص على الأشياء المحتملة لا أن تشابه دائماً الأحلام ، كما أرغب ألاّ أجد فيها شيئاً من التفاهات والمبالغات ، وأود فوق كل شيء أن يكمن خلف مظهر تلك الخرافات بعض الحقائق المستترة التي تجلوها العين المبصرة ، ولو أنها تختفي عن ملاحظات العوام »

« إني لضجرة مشمئزة من الشمس والقمر اللذين كانا تحت إمرة مجوز شمطاء تلهو بهما ، كذلك تلك الجبال الراقصة ، والأنهار التي تعود الى منابعها ، والأموات الذين ينشرون ، إني لأشمئز اشمئزازاً فوق طاقتي عندما تكتب مثل هذه القصص التافهة وبطريقة مبالغ فيها بحيث لا يمكن إدراكها . إن المرأة التي تتوقع أن ترى حبيبها طعمة لحوت كبير ، وتجزع خوفاً لأن والدها سوف يقتلها ، هي في الحقيقة تحتاج الى العزاء والتسلية ، لكن واسي بما يرافق مزاجي »

قالت الأفعى « إنك تلقين على عاتقي مهمة شاقة ، كان يمكنني أن أقتل لك أربعة ساعات طيبة لو أني كنت في زماني الأول ، لكني فقدت كلاً من ذاكرتي وخيالي منذ زمن بعيد . يا للحسرة ! ماذا حدث لتلك المقدرة والدراية التي كنت أبهج بها خواطر السيدات في قاعر

الزمان ؟ دعني مهما كان الأمر أحاول أن أتذكر رواية حقيقية أسليك بها » .

« حكم الملك أخناوف والملكة باترا طيبة بأبرابها المئة منذ خمس وعشرون الف سنة. كان الملك اخناوف وسيماً ، كما كانت الملكة باترا أكثر منه فتنة وجمالاً ، إلا أنهما كانا تعيسين ذلك لانه لم يكن لديهما وريث يحيي الاسرة المالكة من بعدهما .

« كتب أعضاء الأكاديمية الجراحية ، وجمهور علماء الطب مقالات عظيمة في هذا الموضوع ، وأرسلت الملكة لتشرب مياهاً معدنية : صلّت وصامت وتذلّلت الى معبد بريبتر آمون أغلى الهدايا ، ذهب كل ذلك هباء : وأخيراً ... »

قالت الأميرة « يا للسماء ! أرى النهاية واضحة ، فهذه النعمة ذائعة معروفة ، ويجب أن أخبرك بأنها تسيء الى تحشمي وعفتي . إرو اذن بعض القصص الحقيقية ذات المغزى ، والتي لم أسمع بها من قبل ، حتى تكلفين بذلك معرفتي وتهذيبي مراعاة لقول المعلم لقرون المصري

قالت الأفعى الجميلة « إذن فهذه إحدى القصص التي لا جدال في صحتها »

« كان هناك ثلاثة أنبياء طاعنين بحشمين ، غير قانعين بأحوالهم ، وكانت رغبتهم للمتعة الخفاء هي ان يصبحوا ملوكاً ، ذلك بأنه لا توجد غير خطوة واحدة من مرتبة النبي الى مرتبة الملك ، وينظر الانسان دائماً الى أعلا الدرجات في سلم الحظ . أما ميولهم ورغباتهم فيما عدا ذلك من الأمور ، فكانت متباينة مختلفة تمام الاختلاف . الأول واسط ، يخطب في اخوانه المجتمعين لديه فيصفقون له استحساناً ، والثاني مغرم بالموسيقى غراماً جنونياً ، والثالث حبيب المجلس اللطيف الدائم »

« وبينما هم جلوس الى المائدة ذات يوم يتحدثون في فوائد الملك ، إذ تقدم اليهم الملاك إسرافيل قائلاً : « أرسلني اليكم مدبر الكون لأكافئكم على فضائلكم ، فلن تصبحوا ملوكاً فحسب ، بل ستتسلمون أيضاً ما تسلط عليكم من الشهوات . فأنت أيها النبي الاول ، سأنصبك ملكاً على مصر ، وسوف تتابع وأسرة جميلة التي ستتمتع بالتعضيد لبلادك وحكمتك. وأنت أيها النبي الثاني . فإني جاعلك ملكاً على فارس وسوف تسمع دائماً الموسيقى السماوية. وأنت أيها النبي الثالث ، فإني جاعلك ملكاً على الهند ، وأمنحك سيدة فاتنة الحسن والجمال تعاشرك أبد الآبدين » .

« بدأ ذلك الذي كانت مصر من نصيبه حكمه بأن عقد جمعيته ، وكانت تتألف من ستين حكيم فقط ، ثم خطب فيهم خطبة طويلة أثارت حماستهم فصفقوا طويلاً ، وانشرح الملك بمديح الذي لم يدخله التملق . ثم خلفت جمعية الستين الخارجية الجمعية الخاصة ، وهذه كانت أكثر عدداً ، وقام فيهم خطيباً ، فتلقى مديحاً وثناء أعظم مما لاقى أولاً ، ولم تكن هناك من لحظة واحدة تنقص على ملك مصر هنائه وسروره ، كما أن شهرة بلاغته ملأت آفاق العالم » .

« وبدأ ملك فارس الذي حكمه بتمثيل أوبرا إيطالية ، كان يغني أناشيدها خمسة عشر ألف خصي ، وكانت تنفذ أصواتهم الى قصبة حتى تصل الى صميم عظامه ، واذا انتهت أوبرا تبعتها غيرها وهكذا دواليك » .

« أما ملك الهند ، فحبس نفسه مع السيدة ، يقضي بصحبتها أسعد الأوقات ، فانه كان يعتبر تملقها دائماً ضرورة ، وال في ذلك أعظم النعيم والهناء ، تاركاً حال أخويه التعيسين ، ذلك بأن أحدهما كان مجبوراً دائماً على عقد جمعيته ، والآخر في الأوبرا بدون انقطاع » .

حدث بعد أيام قلائل أن احتقر كل من هؤلاء الملوك وظيفته ، إذ يتأمل بعض الخطابين وهم في طريقهم الى عملهم في النيابة ، وكلٌ منهم يحتاط ذراع فتاته ترف بهم السعادة . حينئذ رجا الملوك الثلاثة الملاك اسرافيل أن يتشفع لهم عند مدبر الكون فيجعلهم خطابين » .

قاطعها أمازيديا الحنون قائلة « لا أعرف إن كان مدبر الكون قد أجاب مطالبهم أم لا ، ولا أهتم بهذا كثيراً ، لكن أعرف جيداً بأني لن أطلب شيئاً يخص أيًّا من الناس لو أني مع حبيبي ، لو أني مع عزيزي نيوخذ نصر

دوت عبرات القصر بهذا الاسم الجبار ، أما أمازيديا فانها تفوهت أولاً قائلة نـ... ثم نيو... ثم نيو ... وأخيراً تحطها الاقصال وانشغف ونطقت بالاسم المشئوم غير مكترثة بالعبد الذي أقسمت به لولدها الملك . وردّد نساء البلاط جميعاً نيوخذ نصر . ولم يخفق الغراب الخبيث في أن يخبر الملك بما حدث . وهكذا كانت الأفعى وهي أكثر الحيوانات مكراً وحكمة ، تخدع النساء دائماً ، ظنًّا منها بأنها تقدم طوع خدماتها .

أرسل أمازيس وهو في ثورة غضبه اثني عشر عاملاً من عماله لابنته ، أما هؤلاء الرجال فكانوا دائماً على استعداد لتنفيذ الأوامر الملكية إذ كانوا يؤجرون على أدائها .

الفصل العاشر

كيف أراد الملك قتل الأميرة ولم يفعل

لم تكد تدخل الأميرة خباء الملك حتى صاح قائلاً « تعلمين يا بليتي ، بأن كل الأميرات اللاتي تعصين آباءهن يقتلن ، ذلك الأمر الذي يتعذر بدونه حكم مملكة على ما يرام . فقد حذرتك أن تذكري إسم حبيبك «نيوخذ نصر » ندوتي الذود ، الذي نزعني عن عرشي منذ سبع سنين ثم اختفى . وفي هذا المكان التقيت فجلاً أبيض ثم صحت : « نيوخذ نصر » ، اذن فمن العدل أن أقصل رأسك » .

قالت الأميرة « لك ما أردت يا والدي ، لكن أنظرني قليلاً أرثي حظي التعيس » .

قال الملك « معقول هذا ، إنها قاعدة ثابتة عند معظم الامراء العدول ، فأمنحك يوماً كاملاً تندبين فيه مصيرك كما ترغبين ، وباكر اليوم الثامن منذ ضربت خيامي هنا ، ففي تمام التاسعة صباحاً سيبلع الحوت العجل الأبيض وأفصل رأسك » .

فادرته أمازيديا الفاتنة تحف بها الاحزان ، وهي تزول من قسوته ، وأخذت تتجول على شاطئ النيل كالمذهول الضائع العقل ، يصحبها نساء حاشيتها .

وكان بجانبها مامبرس الحكيم يتأمل ويدمم النظر ، ويعد الدقائق والساعات .

قالت الأميرة « حسناً يا عزيزي مامبرس ! حولت ماء النيل دماء ، ولا يمكنك أن تحول قلب والدي أمازيس ملك تنيس ؟ أتحتمل أن يفصل رأسي في التاسعة من صباح الغد ؟ »

قال مامبرس المفكر « يتوقف هذا على سرعة رسلي واجتهادهم » .

في صبيحة اليوم التالي ، شدّ وثاق العجل الأبيض ، في اللحظة التي أعلن فيها قلّ المطلات والأهرام على صفحة الأرض السادة التاسعة . ثم استعدوا لقذفه لحوت يونس ، وأحضر الملك سيفه الكبير .

لا فيموخذ نفسه قائلاً لنفسه : « واحسرتاه ! واحسرتاه ! أنا الملك ، ظللت مجلاً زهاء سبع سنين ، وما زلت بعد في السنة التي قضتها ، يحكم عليّ بأن يتلمني حوت ! »

أما أبيمرس فلم يتمثل ذكره في ذاكرته كما يشغله الآن ، وكانت تنمره طائفة من أفكار يائسة حزينة ، عندما شاهد من بعد ما كان يتوقعه . عندما لا عداد له يقترب شيئاً فشيئاً ، ثلاث أشخاص ، هم إيزيس وأوزيروس وحوروس ، يتقدمون في نزهة من الخشب والأحجار الكريمة ، ويصحبهم ثلة من حكام مصر ، ويتقدم هذا الموكب ثلة فنانين ، وأربعة آلاف كامن ، يتطلي كل منهم بفروسية ، وقد حملوا جميعاً نواميسهم .

* * *

وعلى مسافة بعيدة ، وعلى تلك الأكمة والعشبة ، ظهرت شاة طيبة ، وكلب فيوسطة وهرة توبت ، وتمساح أرسنوفيه ، ومعزاة منذز ، والآلهة المصرية الصغرى جميعاً ، قد حضروا ليفرضوا ولاءهم للعجل الأعظم — آبيس المختار — الذي اجتمع له من القوة ما لإيزيس وأوزيروس وحوروس معاً .

ومشى بين الآلهات أربعون كاهناً يحملون سلة عائلة عظيمة ، بها بصل مقدس ، غير أن هذا البصل الذي يملأ السلة كان في الحقيقة ، آلهة إذا تشبه البصل شبهاً كبيراً .

وعلى جانبي هذا الرتل من الآلهة أربعون ألف محارب على رؤوسهم الخوذات ، وعلى أفخاذهم اليسرى السيوف وجعاب السهام في أكتافهم ، وبأيديهم الأقواس .

أما الكهنة فكانوا يرتلون أنغاماً مؤتلفة ، تهيج النفس وتذيبها حناناً .

« واحسرتاه ! واحسرتاه ! مات عجلنا ! سيكون لنا أكرم منه »

وأما أمازيس فأدهشه هذا المنظر الخارق ، فأغمد سيفه ولم يضرب عنق ابنته .